غربة شتاء

ميلاس وليد عرفه

غُربة شتاء

غربة شتاء للكاتبة وليد عرفة

لِلكاتبة

ميَّاس وليد عرفة

غربة شتاء لِلكاتبة ميَّاس وليد عرفة

الإهداء

إلى وطنٍ غُرِّبتُ عنه بإرادة حربٍ شرسة ...

فرَّقت وخرَّبَت ودمَّرَت وألغَت جميع القوانين الآمنة التي كنَّا نتقيَّد بها ...

ونفَتنا إلى غُربةٍ فقيرةٍ من أيَّ شيءٍ يدعو إلى السعادة ...

إلى كل من رمقني بتلك النظرة التي توحي بأني لستُ مثلهم !..

شكرا لكم ...

نظراتكم وهمساتكم المُغطَّاة بِكَمٍّ لا بأس به من الشفقةِ

والاستخفاف والتّقليل من الشَّأن ...

غربة شتاء الكاتبة ميّاس وليد عرفة

هي من أوصلتني إلى حيثُما أنا الآن ...

" على طريق الصعود نحو النجوم "

إلى أمي و أبي وإخوتي وجميع أصدقائي المُغترِبين داخل وخارج الوطن ...

غربة شباب للكاتبة ميّاس وليد عرفة

المقدمة

لم تكُن كلمة الغربة من قاموسي يوماً ...

وبعد أن تغَلغَلتُ في سوريَّتي وعرفتُها ...

وبعد أن عشِقتها و تعلَّقتُ بها أيضاً ...

لم أكن أظنُّ بأنها ستكون حقيقةً ولو لِلحظةٍ ...

فجأةً قرَّر القدر !...

و نفَّذَت الغربة القرار ...

فجأةً اختُطِفتُ من وطني ، ووجدتُني في غربتي ...

أعيش على الأُمنِيات والآمال بِأن أعود يوماً ...

إلى أرض السَّلام ...

غزة شاء الكاتبة ميّاس وليد عرفة

-1-

((لو أنَّ نجوم السماء تنطِق !...))

كنتُ أقضي معظم وقتي على شرفتي غارقةً في تأمُّل حارتي حتى أني حفظتُها عن ظهر قلب ... وكأني كنتُ أعلم بأني يوماً لن أراها ، وكأني كنتُ أشعر بأنَّ رحيلاً سيحدثُ و يقلِب كلَّ شيء ...

الآن أذكُرها بِنسماتِها اللطيفة التي كانت تُداعِب وجنَتَيَّ في الصباح ، بِأشجار الزَّيتون في تلكَ الحديقةِ الصَّغيرة التي أُطِلُّ عليها كلَّ صباح ، وكلَّ ليلة ...

بِياسمينةٍ كانت تُعَرِّشُ على أحدِ الجدران فتَبعَث عبقَها بلسماً يُغطِّي جميع آلامي الصغيرة ويُشفيها، بِمبانيها البسيطة التي أذكُر نوافِذها وجميع سكَّانِها ، بِالمارَّة الذين يعطونها شيئاً من الحياة بِذهابِهم وإيابِهم منها ، بِسُكّانها المُختلِفين ...

فمنهم المزعجين وبالرغم من إزعاجهم الدائم كانوا يُعطونها شيئاً من التَّميُّز و القِصص الدراميَّة في كلِّ يوم ، ومنهم الهادئين الذين لا تعرف سوى وجوههم ...

أذكُر جارنا العجوز الذي كان يجلس في دكانه كلَّ النهار يقرأ في قرآنه ...

كم كنتُ أشعُر بالطمأنينة لِرؤيتِه في كلِّ يوم على نفس جلسَته والقرآن أمامه ..

كنتُ أشعر بالسعادة كلما بدأتُ صباحاتي بصوته المُنبَعث من شرفته يرتلُ قرآنه بصوتٍ عذبٍ يبعثُ في القلب أملاً جديداً ...

كم كانت دهشتي لذيذة حينما علِمتُ بأنه هو نفسُه من يؤَذِّن لِلصلاة في كل يومٍ خمسَ مرَّات ، اعتدتُ صوتَه ، اعتَدتُ أن أُقيم صلاتي بعد سماعِ صوته ...

أفتَقِده كثيراً في غُربتي !...

مرَّةً سمِعتُ صوتَ المؤذِّن وقد اختلف ، لم يكن صوت جارنا الطيب !...

شعرتُ بالخوف ، كم تمنَّيتُ لو أني استطعتُ أن أدُقَّ بابه لِأطمئنَّ ما إذا كان ذاكَ الرجلُ الطيِّبُ بخير ...

وكأنَّ الله استجاب لأُمنيَتي السِّرية ، ففي إحدى زياراتي لِلطبيب لمُتابعة حالتي الصحيَّة ...
تصادَفتُ به هناك في غرفة الانتظار ، كان ابنُه يُحرِّك له قدَمَه وكأنَّها شُلَّت !!...
أو ربما كان تعباً مفاجئاً لم يستطِع إثرَهُ تحريكَ قدمه أو المشيَ عليها حتى ...
حزِنتُ كثيراً لِحاله ودعوتُ الله كثيراً بأن يشفيَه ...
بعدَ فترةٍ من ذاكَ اللِقاء عدتُ وسمعتُ صوته يؤذِّن كالسابق ، كم كنتُ سعيدة في تلكَ اللحظة ، لقد شُفيَ من آلامه وأخيراً الحمد لله ...
كنتُ أجدُ في رؤيتِه أملاً يمدُّني بالقوَّةِ أحياناً ، وبالفرحِ في أحيانٍ أخرى ...
وبِصوتِه وهو يؤذِّن وقاراً وهيبةً تأخذاني لِبعيدٍ حيثُ الخُشوع والطمأنينة ...
أشعر بأني أحتاجُ لِصوته قليلاً حتى أشعرَ بِذاكَ الإحساس القديم ...
مازال صوتُ آذانِه يرِنُّ في أذني ولكني أفتقِدُ لِشعوري بالطَّمأنينةِ ذاتها ...
لا أعلَمُ ما الذي حلَّ به بعدَ رحيلي ولكني أتمنى أن يكون بخيرٍ هو وعائلته ...
لا شيء أجمل من دعَوات امرأة عجوزٍ ذاتِ قلبٍ أبيض كلَّما مررتَ بها ...

تشعُر وكأنَّ قلبكَ يتراقصُ مع توافُد تلك الدعواتِ التي تسكن داخله ، وتنشُر فيه سعادة وفرحاً لذيذَين ...

كم أشتاق أن أمُرَّ من أمام تلك الخالة ولو لِمرةٍ واحدة .. حقاً أحتاج لِدعواتِها الآن ...

لم تكُن شرفتي مُجرَّد شرفةٍ تُطِلُّ على شارعٍ يتوسطه حديقة صغيرة وعلى جانِبَيها مبانٍ فقط ، بل كانت شرفة أحلامي وحياتي ، مُتنفَّسي من كلِّ الضجيج الذي يُحيطُ بِأفكاري ، كنتُ أهربُ من مشاكِلي ليلاً إليها وأُحدِّثَ نجومَ السماء ، وشجرة الزَّيتون وتلكَ الياسمينة الذين باتوا أصدقائي الدائمين ...

كنتُ أُغنِّي ليلاً فيسمعُني أصدِقائي والمباني والحارة الهادِئة والخالية من كلِّ صوتٍ سِوى قهقهاتٍ بعيدةٍ من تلك الشُّرفة المُقابِلة لِشرفتي ...

لو أنَّ نجومَ السماءِ تنطِق لسَرَدَت قصص آلامي وأحزاني ، ومن حُسنِ حظي أنها لا تنطِق .. فكم من الأسرار خبَّأتُها بحوزَتِها ، وكم من الأحاديث سَرَدتُ لها...

كانت النجوم صديقتي الوحيدة التي تسمعُني بإصغاءٍ دون كللٍ أو ملل ، كما أنها تستمِعُ لِأدق التفاصيل تماماً كما تسمعني أمي وتُصغي لي دوماً ...

وكانَت هي أول من أفصَحتُ لها عن رغبتي لِأكون كاتِبة ...
كثيراً ما قرأتُ لها من خواطِر كتبتُها ، كنتُ أشعر بأنَّها تمدُّني بالقوة لِأكتُب أكثر ...
وتُشعِرني بأني قد اخترتُ الطريق الصحيح ، وكثيراً ما أخبرتني بأنَّ اسمي سيلمع
كالذهب في عالمِ الأُدباء ...
كانت تلكَ الجملة تُشعِرني بالاعتزاز والفخر وبحجمِ الحُلُم الذي أودُّ تحقيقه ...
لِيساعدني الله على بُلوغِ الطريق وتحقيق الحلم ...
في غُربتي اختلفَت النجوم .. وكأنَّ لِكلِّ بلدٍ نجومه !...
النجوم هنا ناشِفة جافة بِجفاف المنطِقة ، لِوهلةٍ ظننتُ بأنَّه ليسَ ثمَّة نجوم هنا !!...
ظننتُ بأني أتوهَّم وجود نجومٍ في هذه السماء الغريبة .. أمعَنتُ النَّظر وتأمَّل السماء...
حقّاً يوجد هناك نجوم !!...
لكنها ليست كنجوم وطني ..هي لا تُشبِعُّ حباً لي .. ولا شوقاً لِسماعِ أحاديثي ...
لم تبتسِم لي حتى !...

مرَّةً حاولتُ أن أُغنِّي لها كدعوةٍ لِعقدِ صداقةٍ جديدة ، لكنها لم تتجاوب مع أغنيتي ...

نجومي كانت تلمع لِمجرَّد سماعِ صوتي ...

لم أجِد شيئاً يُعينُني على الغُربةِ ولا حتى النجوم ...

كلُّ شيءٍ مُختلِفٌ هنا ...

كل شيء لا طعمَ له ...

على عكسِ كلِّ شيءٍ موجودٍ في وطني ...

غردة نساء للكاتبة مياس وليد عرفة

-2-

((لكُنتُ أخبَرتُكِ !...))

جدَّتي ...

رحِمَكِ الله يا جدَّتي ...

ليتَ الأيام تعودُ بي إلى الوراء ، إلى حيثُما كنتِ تُجلِسينَني أمامكِ وتقومي بتَسريح شعريَ الطَّويل بيدَين تقطُران حناناً ولُطفاً ...

لم تُحِبِّي أبداً تسريح شعري بفرشاة كما اعتدتُ أن أفعل ، بل بمِشطٍ كما عادتكِ القديمة تماماً كما كنتِ تُسرِّحين شعركِ وشعر أمي في صغرِها ...

ليت الأيام تعود بي إلى الوراء حتى أستمِع لِأحاديثكِ البسيطة والمليئةِ بالحبِّ والحنان حتى أستمِع لدعواتكِ التي تقولينها لي كلَّما رأيتني...

لِصَوتِكِ عذوبة تسقُط في القلب لِتجعَله يستكين فيستقِرَّ حبُّكِ داخل حناياه ...

غربة شتاء للكاتبة ميار وميلا عرفة

ليتني أستطيع الرجوع لِذاك الزمن الذي كنتِ تأتينا فيه صباحاً مُحضِرةً طعامكِ الذي قمتِ بطهوه ولم تستطيعي تناوُله وحدكِ بدوننا ...

أشتاق لِنكهة طعامكِ اللذيد .. له نكهة بساطتكِ التي لطالما أحببتُها ...

ليته بِمقدوري أن أُحدِّثكِ ، ثمَّة الكثير من الأشياءِ التي أتمنى لو أنَّ باستِطاعتي أن أُخبِركِ بها ...

لكُنتُ أخبرتُكِ عمَّا فعله أولئك المجرمون بأرضِنا ...

وعمَّا فعله أبناء الوطن جميعاً ...

لكنتُ أخبرتُكِ عن غربةٍ لعينةٍ رمت بِنا خارِج الوطن ، وفي كلِّ مرةٍ ترمَقُنا بنظرة استهزاءٍ خبيثة ..

لكنتُ أخبرتُكِ عمَّا فعَلَتهُ الغربة بي ، عن أصدِقائي الذين حُرِمتُ منهم ، وعن أحلامي التي دفنتُها بعيداً قبل أن أستقِلَّ طائرة الرحيل ، عن آلامي التي أبكَتني كُلَّما زادت ولم أستطِع فعلَ شيءٍ لها هنا ...

اشتقتُ لِمُحاولاتِكِ في انقاذي من ذاك السجن الذي قُدِّر لي بأن أعيشه منذ طفولتي ...
كنتُ أرى في عينَيكِ رغبةً في انتشالي من آلامي ومن ضعفي ...
لكنتُ أخبرتُكِ عن تلك المرأة التي لم تكن سوى وهمٍ مُختبئٍ خلف اسمٍ مكتوبٍ على
هويَّتي وشهاداتي وجميع أوراقي الثبوتيَّة ، والآن وبعد عقيدَين ونصفِ من عمري ظهرَت فجأةً
في حياتي مع جيشٍ كبيرٍ من الأشخاص رغبةً منهم في قلب الحياة التي اعتدتُ عَيشها ،
وأدمنتُها ، ولا أحبُّ تغيير شيءٍ واحدٍ فيها ...
ليتَكِ تستطيعينَ احتضاني وأخذي بعيداً عن كلِّ هذه الفوضى ...
إنَّه الموت ...
أخذكِ سريعاً وضمَّكِ تحت تراب قبركِ في وطني ...
أحياناً أحسِد أولئك الذين يتوسَّدون تراب الوطن في قبورهم ، على الأقل ارتاحوا من
رؤيةِ الدَّمار والموتِ بأشنع الطرق وأبشعِها ...
ارتاحوا من غلاءٍ فظيع وفقرٍ يتملَّك جميع من في الوطن هناك وسط الحروب ...

حيثُ نجمتي التي انطفأت وهوَت ولم يعُد لها وجود ...
ارتاحوا من رؤية الأطفال الذين يموتون جوعاً وعطشاً وبرداً وفقراً ويُتماً وخوفاً...
أطفالٍ لم تكبُر إلاَّ على صوت الرصاصِ والمدافع ، ولون الدّم ، ورائحةِ الموت ...
ارتاحوا من مُقابلةِ غُربةٍ هوجاء تقتُل النَّفس قهراً وذُلاً ، وتُلَوِّع القلوب شوقاً وحنيناً ...
-اشتقتُ لكِ جدَّتي ...
أودُّ لو أنني أستطيعُ إخبارِكِ بأني أحتاجُكِ بشدَّة ، أحتاج يديكِ الحنونَتَين ، وقلبكِ الطَّاهر ، ودعواتكِ الكثيرة واللحوحة لي ...
في كلِّ مرة أذكركِ أتأمَّل ملامح أمي التي تشبهُ ملامِحكِ ، وأدعو الله بأن يُمطِر عليكِ في قبرِكِ رحمةً ومغفِرةً ، وأن يجعل قبركِ روضةً من رياضِ الجنَّة ...
في كلِّ مرَّةٍ أشتاقُك أحتَضِنُ أمي ، ابنتَكِ التي أورَثتِها طيبةً تفوقُ طيبةَ البشرِ جميعاً ، وحناناً يغمُرُ الكون بأسره ، ووجهاً جميلاً بملامِح ملائكيَّة ...
ومن أجملُ وأطيبُ وأحنُّ من أمي ؟؟...
رحِمَكِ الله آلافَ المرَّاتِ جدتي ...

-3-

((حُبٌّ مِنَ النَّظرة الأولى ...))

مع أنَّني قضَيتُ طفولتي في ذاتِ المكانِ الذي تغرَّبتُ إليه ...
إلاَّ أنَّ شيئاً منذُ ذلك الوقتِ يُخبرني بأنه ليس مكاني ، يُشعِرني بِعدمِ الانتِماء إليه ...
مع أنني تعلَّمتُ الكلام والمشيَ فيه ، وتغلَّبتُ على مخاوفي الصغيرة في أرضه ...
تعلَّمتُ أولى الحروف والأرقام ، وتعلَّمتُ رسمَ الكلِماتِ والأشجارِ والبيوت الطُّفوليَّة والشُّموس المُزركشة في ذاتِ المكان ، وانخرَطتُ مع الأطفال في سنواتي الأولى أيضاً فيه ...
تعلَّمتُ مناهِجه ولا أُنكِر بأنني أحببتُ أشخاصاً ينتمون إليه وعلى بِقاعِه ، مُدرِّساتي وصديقاتي اللاَّتي كُنَّ يدرُسنَ معي ...

غربة شتاء للكاتبة عبير عياش وليد عرفة

إلاَّ أنَّ شغفي بالكتابة لم أكتشفه هنا ، لم أعلَم بأني سأُريد يوماً أن أكون كاتبة وأنا أتنفَّس من هواه !!...

ربما لم تكُن تلك الفكرة وارِدة بين أحلامي ورغباتي حتى ..رغم كل ذلك لم أشعر يوماً بالانتماء لهذا المكان .. حتى أنني لم أحبه !!...

-أوَّل مرَّة رحلتُ فيها لِلوطن ظننتُ بِأني أعيشُ حلماً جميلاً داخل حافلة !!...

أوَّل ما بدَت لي الأراضي الزراعية التي تخُصّ وطني تراقَصَ قلبي فرحاً ، لم أكُن قد رأيتُ جمالاً كجمالِه قط ، شعَرتُ بالشيء المفقودِ والذي كنتُ أبحثُ عنه في وطنِ الغربة ...

الانتماء .. هو شعورٌ ساحِرُ الروعة يملأُ القلب فرحاً وأماناً واطمئناناً ...

هو شعورٌ لذيذٌ تذوَّقتُه في فترة طفولتي ما قبلَ الأخيرة ...

كُلَّما اقتربَت الحافِلة أكثر من الوطن وتوغَّلتُ فيه أكثر كانَ أبي يُحدِّثنا عن مزارِع درعا التي كانت على جانبَي الطريق ، بسحرها وجمالها احتلَّت مُخيِّلتي كأجمل صورةٍ ألتقِطُها لِأول مرة ...

دائماً " أوَّل مرَّة " تكون كغيرها من المرَّات .. بِذهولِها الأول .. بِدهشتِها .. بِصوَرِها التي تُطبَع بالذاكرة أجمل من كلِّ المرَّات .. بالكلمات التي تخرج أولَ مرَّة من شِدَّة الذهولِ بها .. بِكل تفاصيلِها ...

أوَّل مرَّة تأتي دائماً بِسحرٍ مُغايرٍ لِكلِّ المرَّات ...

مع كلِّ توغُّلٍ لنا في أرضِ الوطن كان أبي وأمي يُحدِّثانا عن كلِّ شيءٍ نراه ...

ها قد وصلنا إليكِ يا دمشق !!...

مازال لِقائي الأوَّل بكِ قابِعاً في ذاكِرتي كلِعبةٍ لا تُغادِر صغيرتها ...

كم أنتِ بهيَّةٌ ساحرةٌ بجمالِكِ ، صَدَقَ من قال بِأنكِ تسرِقين قلوبَ العُشَّاق من اللحظةِ الأولى لِلقاء الأوَّل ، وها أنتِ سرقتِ قلبي الصَّغير ، وعيناي المشدوهتانِ بكِ لِلوهلةِ الأولى مِن رؤيتِك ...

-انظروا يا أبنائي .. إنه نهر بردى !...

" قالها أبي "

يا إلهي ما أجملَه ، وكأنَّ الجنة أُقيمَت في دمشق ...

ما أجمل مبانيها الضّخمة مِنها والبسيطة ، سُكَّانها بأشكالهم وألوانهم ، بِبساطتهم

وبِمكانتهم العالية ، بِأديانِهم ومُعتقداتهم ...
ما أروعكِ دمشقيَّتي وما أروعَ كلَّ ذرَّةٍ فيكِ ...
لقد وقعتُ في حبِّك من النَّظرةِ الأولى !...
أهُناكَ طفلةٌ تعلمُ شيئاً عن الوقوعِ في الحبِّ منَ النَّظرة الأولى ؟...
نعم .. كنتُ أنا ، أنا الطفلةُ التي وقعَت بحبِّ دمشق من النَّظرة الأولى ، بل من الوهلة الأولى ...
كنتُ أنا الطِّفلة التي ذابَت عِشقاً بين شوارِعِها .. أبنِيَتِها .. حاراتِها ...
دكاكينِها وأسواقِها .. حدائقِها وأشجارِها ...
حتى أني ذُبتُ عشقاً بِهواها فأصبَحتُ المُتيَّمة الصَّغيرة لها ، والتي مع كلِّ سنةٍ جديدةٍ تُضافُ إلى عُمرِها يكبُر عِشقُها وتزيدُ تَيماً بِدمشقَ لا سِواها ...
لو أنني كنتُ أعلم حينها بأني لم أكُن سوى مشروع كاتِبة ستكتشِفُ ذاتها قريباً ...
لو كنتُ أعلمُ كيفَ سأتلاعبُ بالكلِمات وأُحوِّلها وأرتِّبها كيفما شئت ...
لو أنني كنتُ أعلم كيفَ أكتُب قصيدةً وقتها .. لَكتبتُ الكثير عن حبِّي لها وعشقي لها ...
لو كنتُ أعلمُ حينها بِأنني تحوَّلتُ من غريبةٍ إلى عاشِقةٍ لِدمشقَ والكلِمات ...

لَكوَّنتُ من حروفِ العشق ما لم يُكتَب حينها ، ولكني لم أكُن سوى طفلةٍ مذهولةٍ

عرفَت لِتوِّها ما معنى " الانتماء " ...

أخيراً وصلتُ إلى مدينتي الرِّيفيَّة ((التَّل)) ...

يالَ جمالِها وروعةِ جِبالها وأشجارِها ...

كلُّ مكانٍ فيكِ سوريَّتي يُعشَق ...

وكلُّ شجرةِ ليمونٍ وزيتونٍ فيكِ سوريَّتي تُعشَق ..

وكلُّ نهرٍ جارٍ أو طيرٍ مُحلِّق فيكِ سوريَّتي يُعشَق ..

أهُناك ذرَّة فيكِ لا تُعشَق ؟!.

-4-

((أنا كاتِبة !...))

مدينتي كانت هادئة .. جميع سكانِها يعرِفون بعضهم .. جميع سكانها لهم ملامِح مُتشابهة .. لهم ابتِسامة جميلة لم أرَ مثلها في غربتي ...

في الغربة كلُّ شيء جاف ...

حتى الابتسامة !!...

تكون جافة بِلا معنى ...

وكأني وقتها تعرَّفتُ على شيءٍ جديد ، قاسٍ كنتُ أعيشه دون أن أشعر به ...

وكأني لحظتها علِمتُ بوجود عدوةٍ لدودةٍ لي كانت تعيشُني في الخفاء ...

تلك السارِقة المحترفة ، والمغرورة التي كانت تخدعُ طفولتي وبراءتها ...

والتي سترافق دربي القادِم مجدّداً فيما سيأتي ...

الغربة !!!...

وقتها .. ندِمتُ على طِفولتي التي سرقَتها غربتي بألعابها التي لم أستمتِع بها سِوى داخل أسوار المنزل ...

ندِمتُ على طفولتي التي لم تحفِر بذاكِرتي سوى صحراء قاحِلة جافة ذاتُ شمسٍ حارقةٍ لا ترحم ...

ندِمتُ على عمرٍ ضاع من عمري لم أنعَم به بجنة الدنيا ...

سوريتي .. جنتي .. أجمل بِقاعِ الأرض .. بلد السلام ...

أصبحتُ أُحاول صُنع ذكريات طفوليَّةٍ جديدةٍ لي على أرض السلام ...

بِتُّ أجوبُ في حاراتِ مدينتي التي كنتُ أجهلها أنا وإخوتي معاً ...

وعلى الشرفة التي كانت بِحدِّ ذاتِها مسكني وملاذي ...

ذكرياتي ومنشأ أحلامي ...

فيها عقدتُ أولى صداقاتي على أرض وطني مع نجومه ...

فيها قرَّرتُ أن أكون يوماً نجمة متلألِئةً تنشر حباً .. أملاً .. وحياة ...
فيها عشِقتُ القهوة وصوتَ فيروز والكلِمات ...
وعليها نشأت أولى حروفي ..." مِن شرفة منزلي " ...
أكملتُ دراستي وتعرَّفت على أصدِقاء جدُد ...
وجدتُ صُعوبةً في التعامُلِ معهم لِلوهلة الأولى بسبب الخوف الذي أورَثَتني إياه غربتي ...
كان جميع أصدِقائي في البداية بمدرستي الإعدادية من الأولاد ، فالوقت الأطول من دوامي في المدرسة حينذاك كنتُ أقضيه معهم ...
كنتُ أحاول عيش طفولتي التي لم أعِشها في الغربة ، كنتُ أحاول رسم ذكرياتٍ لي قبل أن أتعدَّى مرحلة الطفولة ...
ولِلأسف لم أجِد طفولتي مع الفتيات هناك ، فأحاديثُهم لم تكُن تُغريني أبداً ...
أو ربما لم تشُد رغباتي الطفولية .. أو أنهنَّ كنَّ يتجنَّبن جلوسي معهن ...
بسبب هيئتي التي لم تَرُق لهن !...

إذ أنَّ هيئتي ووضعي الذي كنتُ أُعاني منه لم يكُن يتناسَب مع أحاديثهن
التي طغَت عليها علائم المراهقة ...
مع أنني كنتُ أكبرهنَّ بعام ولكنَّ طفولتي كانت هي الطاغي الوحيد على تصرفاتي ...
ولهذا السبب كنتُ أجد متعتي مع الأولاد !...
كنتُ ألعبُ وأقضي الوقت معهم حتى أني اكتسَبتُ بعضاً من تصرٌّفاتهم وطبائعهم
وحتى طريقة كلامهم ولهجتهم ، كم كنتُ صِبيانِيَّةً بعض الشيء حينها ...
أحياناً كنتُ أشعر بأني سأكون أفضل لو كنتُ صبيَّاً ...
فمظهري وهيئتي لم يكونا يليقان بفتاة مثلهن ...
ما أثار غرابتي في تلك الفترة أن الصبيان تقبَّلوني كما أنا .. بِوضعي .. بِضعفي ..
بِكلِّ ما فيَّ لِأكون صديقتهم ...
أما الفتيات لم أشعر أبداً بأنهم تقبَّلوني ولو أنهن كنَّ يُجامِلنني كثيراً ، ويرمَقنني
بِنظراتِ الشفقة من بعيد ...
كم أمقُتُ تلك النظرات ...
وأتمنى لو أنَّ باستِطاعتي اقتِلاعها من كلِّ عينٍ ترمقُني بها ...

هم لا يشعرون بِكمِّ الألمِ الهائل الذي ينتابُني حين ألمح تلك النظرة...
ولو علِموا بآلامي الناجِمة عنها لاقتلَعوها بِذاتهم ...

أربعُ سنوات ولم أُحادِث أو ألعب وأتشارك المواضيع سوى مع صِبية ،

لم يفهمني سِواهم وقتها ، أو أنَّ طفولتي وجدتُها معهم ...

حقاً كانوا أصدِقاء حقيقيين ...

ما زِلتُ أحتفِظ بذكرياتهم وأسمائهم وأشكالهم الطفولية إلى الآن ...

وكلما ذكرتهم لا يسعني سوى أن أدعوا لهم بالسعادة ...

ها أنذا قد كبُرتُ وتخطَّيتُ مرحلة الإعدادية وعليَّ الانتقال للمرحلة الثانوية ...
وهناك وضع مختلِف .. وحياة مُختلفة .. وكل شيء مختلِف ...
لم يكُن هُناك صِبية !!...

أو أي أملٍ لِوجود صديقٍ واحدٍ من أصدقائي القُدامى من الإعداديَّة ...

ثمَّة خوف نمى داخِلي وبدا يُعرِّف عن ذاته مُتحدِّياً ضعفي ...

" أصبحتِ وحيدة .. لا أصدِقاء معكِ .. ما أنتِ فاعِلة الآن ؟..."

فعلاً .. كنتُ وحيدة ، شعرتُ بِأنَّ تلكَ الثَّانوية لم تكُن سوى سجنٍ بِلا قُضبان ...
لم يكن معي أصدِقائي ، الجميعُ هنا غُرباء ...
كبُر الخوف داخلي .. وأجزمتُ بأني قادِمةٌ على مجهولٍ سيجعلني ...
وحيدة لمُدة ثلاث سنوات !!!...
لن أستطيع رؤية أصدقائي بعد اليوم .. بدأ اليأس يتسلَّل داخِل روحي ...
وكأنَّ روحي كانت مُستكينةً أصلاً ...
لم أعُد طفلةً الآن ، أظنُّ بأنِّي كبُرت حقاً ...
فمجتمعي لم يكن يسمحُ لفتاةٍ في مثلِ عمري أن تُصادِق شُبَّاناً ...
كان عليَّ أن أحترِم قوانين مجتمعي لِذا صِرتُ أحاول تناسي حاجتي لِأصدقائي ...
والتفكير بطريقة لِقتلِ مخاوِفي التي تنمو داخلي ...
والتعايُش مع الحياة الجديدة التي بانتِظاري ...
خرجتُ أوّل يومٍ من دوامي في الثّانوية مُحبطة .. كئيبة .. ومُستسلِمة ...
لم أستطِع أن أحبَّ ذاك المكان ...
كيف لفتاةٍ اعتادَت أن تجلس بين صبيَةٍ لِأربعِ سنوات أن تجلِس بين فتيات ؟...

رواية شتاء الكاتبة ميّاس وليد عرفة

الاختلاف بيني وبينهن كان واضِحاً .. والبُعد بين أسلوبي وأسلوبهن كان كبيراً ...
لم تكن أحاديثهنَّ تُغريني .. ولم تكن روحي الطفوليَّة لتتطابق مع أرواحهن ...
كانت أفكاري بعيدة عن أفكارهن ، كنتُ أخجل منهن ومن الحديث معهن ...
كنتُ أشعر في بعض الأحيان بأني لن أستطيع أن أكون مثلهن ، أو أن
أُصادق إحداهن ، وكنتُ أخاف من هذه النقطة كثيراً ...
أخاف من أني لن أستطيع الحصول على صديقة !!...
كانت هذه هي غربتي الأولى التي شعرتُ بها أولِ مرّةٍ بحياتي ...
وكانت هي ذاتُها سبب ولادة كاتِبة صغيرةٍ خجولة تخُطّ حروفها وتخبئها في دفاترها ...
تُخرِج أوجاعها المُتراكِمة داخلها لِتُحيلها كلِماتٍ مرتَّبة وحروفاً أنيقة على ورق ...
ولكنها لم تكُن تمتلِكُ من الجُرأة شيئاً لِتجهر بحروفِها والكلمات ...
لم يكُن أحدٌ يعلم بِوجود هذا المولود الصغير ، ولم يكن أحدٌ يتوقَّع وِلادته ...
بل لم يكن أحدٌ يتوقَّع وجوده يوماً على قيدِ الحياة ...

-" شخصيَّتي الهادئة والخجولة وربما تلك الابتسامة المرسومة دائماً على وجهي
ما جذب الفتيات لِلتعرف بي .. أو ربما لم أكن أعلم ما يجذبهنَّ حقاً ...
لَربما الفضول بمعرِفة من أكون !.. أو الشفقة !...
كم تُثير جنوني تلك الكلمة ... "
لم أكُن أتوقَّع أبداً أن أُصادِق أحداً هناك ...
أحياناً المخاوِف والأوهام التي يوقِع بها الواحد منا نفسه تُغرِقُه في بحار من اليأس
يظُنُّ بعدها أنه لن يخرج منها أبدا ...
في البدايةِ تعرَّفتُ على صديقةٍ لم يجمعني بها سوى " صباح الخير ومقعدٌ مُشترك " ...
وبعدها بدت تنمو علاقتُنا ومحبتنا مع الأحاديث التي كنا نتبادلُها كل يوم ...
والتشابه الذي بدا يكبُر بيننا مع كلِّ حديث ...
بعدها تعرَّفتُ بِأخرى اعتقدتُ بِأنها هي في البداية إذ أني لم أكُن أحفظُ الوجوه سريعاً
وخصوصاً من أوَّل مرة ...
كان موقفاً طريفاً وبِداية لِصداقة حميمة امتدت إلى الآن ...
يال سعادتي .. أصبح لديَّ صديقتان ...

كانت أفكاري ساذجةً حين اعتقدتُ بأني لن أجد صديقة يوماً !...
بل أني كنتُ أرتدي خوفاً لا وجود له ...
مضَت الأيام وأصبح يتزايدُ رصيدُ صداقاتي .. ولكني لم أستطِع نسيان أصدقائي القُدامى في الإعدادية .. كنتُ كل يومٍ أفتقِدهم أكثر .. وأتوق لِلحديث معهم أكثر ...
خطرَت لي فكرة أن أُسمي كلَّ نجمةٍ باسمِ واحدٍ منهم .. كانت فكرةً طفولية ...
لكنها استطاعت سدَّ رمق شوقي لهم قليلاً ، حفِظتُ اسم كلِّ نجمة ...
حدَّثتُ أصدقائي النجوم عن صديقاتي الجُدد ، وكيف أني في كل يومٍ تزدادُ دائرة صديقاتي اتِّساعاً ، وكيفَ أني استطعتُ التَّغلُّب على الخوف من الوحدة إذ أني وجدتُ صديقاً سرياً أبوح له بأسراري كلها ...
إنه (الكتابة ، المولود الجديد الذي بدأ يتعلَّم فنَّ الحياة والتعلق بالحلم) ...
بدا حلمي صغيراً حينها ، ولم أكن أمتلِك الجرأة حتى أُظهِره أمام الجميع ...
احتفظتُ به سرّاً ورُحتُ أجوب به وأتعلَّم أساليبه سِرّاً ...
أشغلتُ نفسي به عن الجميع .. وأخفَيتُ شغفي به عن الجميع ...

ولكنَّ شيئاً ما حدث جعلني أصرُخ أمام الملأ جميعاً ...

أنا كاتِبة !!!..

غزية شتاء للكاتبة ميّاس وليد عرفة

-5-

((أحببتُكِ بعد فواتِ الأوان !...))

كثيراً ما تخذِلنا توقُّعاتنا مهما كانَت إيجابية أم سلبية ...
مُطمئنةً أم مُحزِنة .. ممكنة كانت أم مستحيلة ...
لِذا علينا أن نثِق بِذاتِنا بأنه مهما كان صعباً ما نُواجِهه ، سنتخطَّاه بالإيمان والإرادة ...
وبِعدم الاكتِراث لكلِّ تلك السَّلبيَّات التي يبُثُّها الآخرون مع نظراتهم أو كلماتهم
أو حتى همساتهم ...
تجرِبتي في الثَّانوية لم تكن ناجحة ، فقد كانت المرة الأولى التي أفشل بها ...
أو أنّها كانت بدايةً لسلسلة فشلي فيما بعد ، وبنفس الوقت كانت مرحلةً لِولادة حلم
جديد بدَّد جميع الأوهام الساذجة من خيالي ...
أحياناً الفشل لا يعني النهاية .. بل البداية الحقيقية لانطلاقنا في سباق الحياة نحو النجوم ...
إلا أنَّها علَّمَتني الكثير ، والأهم أنّي اكتشفتُ أخيراً بأن خوفي لم يكن سوى وهمٍ

أغرَقتُ نفسي فيه ، وأوهَمتُ ذاتي بأني لن أستطيع الخروج منه ...
ولكنَّ اكتِشافي أتى متأخِّراً لِلأسف !...
أحياناً هواجِسُنا وأحاسيسُنا تخدعُنا ...
كَبُرَت دائرة صداقاتي وصغُرت معها مخاوِفي ...
هناك من كنَّ يُحدِّثنَني ، وهناك من كنَّ يساعدنني في فعل أمورٍ تصعُب عليّ ...
هناك من كُنّ يوصِلنَني حتى منزِلي ، وهناك ، وهناك ، وهناك ...
كانت صداقتي بهنَّ تفوقُ توقُّعاتي الغبيَّة ، أو بِمعنى أدق تُحطِّمها جميعاً ...
أحببتُهم وأحبُّوني .. تحادثتُ معهم وكشَفتُ قليلاً عن ماهيَّة مولودي الجديد لِبعضهن ...
أعجبهم ما كشفتُ لهنَّ عنه ، ومنهنَّ كنَّ من الدَّاعمين لي في الكشف عنه بالكامل ...
عِلمتُ وقتها أنّه ليس جميع الأشخاص يحكمون على الآخرين من المظهرِ والهيئة ...
فهناك من يهمُّه الجوهر ....
بالرغم من محبَّتي لِصديقاتي لم أستطِع أن أحبَّ ذاك المكان !!...
لم أشعر بالراحة هناك ولا حتى بالانتماء !...

الانتماء .. كلمة عميقة نفتقدها عندما نشعر بالغربة .. وهناك كنتُ أشعر بالغربة ...
كان همِّي الوحيد أن أخرج منه بأي وسيلة ...
لِدرجة أني لم أكن أُشارِك صديقاتي بجميع ذكرياتهم !!...
كنتُ دائمة الصمت مُنزوِية على مِقعدي ومعي قلمٌ وورقة ...
أكتب فقط ، لم أعرِف وقتها لِم أكتب ؟...
وما ذاك الشيء الذي يجذبني كمغناطيسٍ لِأكتُب ؟...
حينها كانت الكتابة مولوداً صغيرا أشدَّ ما يكون لِأمه كي ترعاه وتنتبه له ، وتسقيه من حليب حنانِها واهتمامها حتى يكبر ويتطوَّر تطوُّراً صحيحاً لا اعوِجاج فيه ...
كتبتُ عن كلِّ شيء صادفتُه أو سمِعت عنه أو رأيته ...
أخرجتُ جميع مشاعري المكبوتة داخلي ، وصرختُ بِذاك الصوتِ الصامت على الأوراق !...
حتى عن تلك النقطة السوداء في حياتي ، المُلاصِقة لِأحلامي وأوهامي ومخاوِفي الكبيرة والمجهولة في ذات الوقت .. كتبت !...
كانت النقطة موجودة على شهادات امتِيازي ، وجواز سفري ، وفي كوابيسي اليوميَّة ، ولكن صاحبة تلك النقطة كانت مجهولةً ومخفيّةً بين طيَّاتِ الماضي البعيد

ومُحتملً ظهورها بِأيِّ لحظة في طرُق الأيامِ القادِمة ...
لكن تساؤلاتي الدَّائمة كانت :
((بِأي وجهٍ ، ولِأي سببٍ ستظهر ؟...
وأي وسائل ستستخدم حتى تغطي جميع ذنوبها ؟....
وماذا سأفعلُ أنا حينها ؟...
هل سأضعفُ كعادتي أم أن قوَّة خارِقة ستُسيطر عليَّ لِأواجه ما سأواجهه ؟)) ...
كتبتُ عن طفولتي التي قضيتها مع أختي ...
ألعابنا .. أشياءنا .. أفكارنا .. تصرُّفاتنا .. وحتى عن أحلامِنا ...
عن رسَومنا التي غطَّت جُدران غرفتِنا ...
عن أسرارنا التي كُنا نبوح بها لِبعضِنا البعض ، وعن جميع الأحداث التي حصلت معنا .. عن أفعالنا الشقيَّة التي قمنا بها .. وعن أخطائنا البريئة التي ارتكبناها ...
عن صدمتي الأولى التي لم أستطِع استيعابها حتى الآن عندما أخبرتُها بها وشهقاتي تتابع بشدة من هولِ ما عرفت !!...
عندها لم أستطِع البوح لِأحدٍ سواها ...

لِكلِّ منَّا شخصٌ كروحه تماماً وليس نصفها ، فالنِّصف يضيع أحياناً في زحمة الواقع وكثرة أحداثه ...

وهي كانت وما تزال روحي ...

وعن أفعالِنا الجنونيَّة الممزوجة بطفولة وعفويَّة ...

عن محبَّتي لها ، وعن خوفٍ أحتفِظ به في داخلي ...

" كيف ستكون حياتي بدون أختي ؟!... "

عن كلِّ التفاصيل الصغيرة التي أحبها بإخوتي ، وعن شِجاراتِنا أيضاً ...

تلك الشِّجارات التي تُقوِّي وتُثبِّت الحب بين الإخوة بمرور الأيام ...

عن أحاديثي الكثيرة بخصوص نجومي .. وعن أغنياتنا المُحببة ...

عن الشوكولا وعن مشروبِنا المفضَّل " المته " ...

عن مِزاجيَّتِنا المفاجئة لاحتِساء القهوة ...

عن سببِ انزعاجي من صديقتها المغرورة ، وعن نظرتِها التي تلمع في عينِها حينما أُسلِّم عليها ...

تِلك اللمعة التي تُنذِر حواسي بأنها تُشفِق على حالي ...

وعن غضبي من أخرى صادفناها في طريقنا فلم تُسلم عليَّ وأكملَت سلامها وحديثها وتصنُّعها السخيف مع أختي ...

وأنا أقِف مشدوهة من غباءِ تفكيرها وقساوة قلبها .. كأن لا وجود لي أمامها !...

كثيراً ما كنتُ أتساءل : ما هو شعورها إذا ما كانت مكاني ؟...

بالمُناسبة ، هل فكَّر أحدٌ يوماً أن يتخيَّل نفسه مكان إنسانٍ مريضٍ قد اختار الله له حياته وقدره ، ليشعر بشيءٍ مما يشعر به المريض من ألمٍ وضيقٍ وأحاسيس لا يُمكِن وصفها إزاء نظرة شفقة واحدة ، أو استِصغارٍ لِقيمته أمام الآخرين ؟؟؟...

لِم لا تحاولون ؟...

أخبرني والِدي يوماً بأن المرض الذي يستحق صاحبه الشفقة من الآخرين هو مرض في العقلِ والتفكير وليس في الجسد ...

أعجبتني تلك العِبارة وصِرت أرمي بِنظرات الشفقة والاستِخفافِ على كلِّ شخصٍ يماثِل صديقة أختي تلك ...

في البِداية كنت كثيرة البُكاء والشكوى من هكذا تصرُّفات ولكني استطعتُ أخيراً الخروج من دوامة تفاهاتِ البشر تلك ، والتركيز على فكرةٍ واحد فقط ...

((ربما لا أمتلِك ما يمتلِكونه من صحة وجمال .. لكنَّهم لا يستطيعون أن
يفعلوا ما أفعله ..فأنا بإرادة الله وعونه أستطيع أن أكون مثلهم ،لكنهم لن
يصِلوا إلى ما سأصِل إليه إن شاء الله يوماً)) ...

كتبتُ أيضاً عن لعبتي التي أحبها والتي كانت هدية من أبي .. وعن اسمِها الذي اخترته لها ... "ماري " ...

كثيراً ما تساءلتُ عن سبب اختياري لذاك الاسم بالذات ، ولكنه كان اختياراً طفولياً ليس إلا ...

لربما كان اسماً لِبطلة في مسلسلِ أفلام كرتونٍ كنتُ أحبُّه !!...

عن الربيع .. والخريف ...

عن الشتاء الذي أذوب فيه عِشقاً .. وعن المطر والمِدفأة ...

عن شرفتي وتلك الزيتونة الواقِفة مكانها دائماً .. أحيانا كنتُ أعتقِد أنها واقِفة هناك من أجلي !...

من أجلِ أن أراها كلَّ صباحٍ خضراء صامِدة ، لا يؤثر فيها برد ولا ريح ...

عن تلك الياسمينة التي تفوح عبيراً نقيّاً لا يُضاهيه نقاءٌ في الدنيا ...
كيف لا ومنبَتُها ترابٌ طاهرٌ كترابِ وطني ...
عن وطني الذي أحبه وعن رغبتي بأن أجوب كل شبرٍ فيه ...
بعضُ الرَّغبات تتحول إلى أحلام !!!..
وعن أمنيتي بِترك الثانوية !!...
التي تحقَّقت أخيراً ومعها حدث ما لم أتوقَّعه أبداً ...
لم يكن يهمُّني حينها كيف تركتها .. لم أكترِث لِلفشل الذي وقعتُ فيه .. ولم أُفكر فيما سيقولونه عني لاحِقاً ... لكني ندِمتُ عليها بعد ذلك ...
نُخطئ كثيراً بما نتمنَّاه أحيانا ونتمسَّك به دون أن نُدرِك أنه ربما يكون الخير بذاته لنا .. وبعدها ، نندم بِبساطة !...
بعد أن جرَّبتُ طعم المرارة الأصلي وأُبعِدتُ قسراً عن الجميع ، وعن ذاك المكان الذي كان بغيضاً بالنسبة لي حينذاك ،وعن وطني .. كتبتُ اعترافاً لِصديقاتي ...

)) غريبة هي الحياة حقّاً ...

أكثر مكانٍ كرِهته وتمنَّيتُ الخروج منه ، بات أكثر مكانٍ أشتاقه الآن !!...

و أشتاق الوقوف أمام أبوابه ...

أكثر مكانٍ بكَيتُ فيه وبسببه في الماضي ...

أصبح الآن من بين أكثرِ الأماكن التي أبكي من أجلِها ...

المكان الذي كان السجن بالنسبة لي ...

بات سجني الحالي أكثر ضيقاً منه بِأضعافٍ مُضاعفة ...

الغربة خنقَتني أكثر من اختناقي هناك ...

أشتاقُكِ حقاً مدرستي !!...

أشتاق مُدرساتي اللاَّتي لم يدخُلنَ قلبي في ذاك الوقت !!...

أشتاق صديقاتي اللاَّتي أحببتهم كثيراً ...

ولكنَّ مقتي لِلمكان الذي جمعني بهنَّ أبعدني عنهن ...

أشتاق لِتلك التفاصيل الصَّغيرة التي عِشتُها فيه ...

أشتاق لِصمتي هناك !!...

لي في كل زاويةٍ من زواياه ذكرى لِصورةٍ أنشأتُها بخيالي ...
لي فيه مع كل صديقةٍ قابلتها محبَّة وشوقاً يفوق الوصف ...
لي على شرفة صفي التي كانت تُطلُّ على الشارع أمام المدرسة ...
قِصصٌ رويتها وآمالٌ نسجتها وأحلام رسمتها ...
وعلى ذاك الدَّرج الكبير شبه ضحِكاتٍ وكثير من الحزن ...
لكم تمنَّيتُ الآن لو أنَّ باستِطاعتي زيارتها ولو لِمرَّةٍ واحدة ...
لِأُخبر حِجارة جُدرانها وصفوفِها وساحتها الواسعة وتلك الدرجات ...
بِأني أحبها .. وأفتقِدها ...
كم كنتُ حمقاء فيما مضى !!...
لم أُعطِ نفسي فرصةً لِمحبَّتِها ...
ولِرؤية الحرية التي لم تكن بِنظري سوى سجنٍ مُظلم !...
كم كنتُ ساذجةً عندما أضعتُ فرصةً لِعَيشِ أجملِ لحظاتِ حياتي ...
ينتابُني شعورٌ بالندم كُلَّما سمعتُ صديقاتي يتحدثون عن ذكرياتهم هناك ...
وأنا أصمُت .. تماماً كما كنتُ صامتة في الماضي ...

آهٍ .. لو يعود بي الزَّمن إلى الوراء .. إلى حيثُ كنتُ في الثانوية ...
لَجعلتُ فترةَ العمرِ التي قضيتُها فيكِ هي الأجمل ...
أحبَبتُكِ بعد فواتِ الأوان .. فهلاَّ سمِعتِني وسامحتِني الآن ؟!!...))
إن كنتُ الآن أستطيع التواصل مع صديقاتي ومعرِفة أخبارهن وجديدهن في الحياة فالفضل في ذلك يعود إلى " فيسبوك " ...
تمكَّنتُ أيضاً من إرسالِ اعترافي لهنّ جميعاً عبره ، وسامحنَني ...
ولكن .. هل سيُسامحني ذاكَ المكان على ظُلمي له يوماً ؟...

-6-

((جاءتِ الحربُ وفرَّقَتنا جميعاً !...))

صدفة كانت يوم التقَينا فامتدَّت محبَّتُنا إلى ما لا نهاية ...

وبقيَت صداقتُنا إلى يومِنا هذا تُحارِب البُعد والغربة وحيدةً مُتسلِّحةً بالأشواقِ و الذكريات وبكثيرٍ من الدعوات لأن نجتمع يوماً على أرض الوطن ...

كان يوماً ماطِراً بارداً يوم التقَينا ، وقد كنتُ يومها مُنهكة ومتعبة أكاد أقع من شدَّة الألم والمرض ...

كنتِ من أوائلِ المُستَقبِلين لي أمام بابِ المعهد على الرغم من عدم معرِفتكِ بي ...

" فقد كنتُ مُضطرةً لِلذهاب إليه حينها "

وكأنَّ المرض أصابني لِيُعرِّفني بكِ .. كم أنا مدينةٌ له بلِقائك ...

لِأولِ مرَّة أشعر بأنَّ القدر يحبُّني .. فقد كنتِ هديَّته الأغلى لي ...

غدير شتات الكاتبة ميس وليد عرفة

صديقتي .. يا ابتسامة زرعتها الحياة في طريقي وغرَّبَتني عنكِ بعدها !...
قلتِ لي بعد يومٍ من ذاك اللِّقاء الغريب بأنكِ كنتِ مُتشوِّقةً لِمعرِفتي منذ مدَّة ...
كنتُ سعيدةً بكِ كثيراً ، شعرتُ بأنكِ ستبقَين صديقتي للأبد ...
وأننا مهما افترقنا سيبقى الحب يجمعنا ، والوفاء يلفُّنا ، والحنين يُسيطر علينا ...
أغرَتكِ كلِماتي وبراءتي وتصرُّفاتي الطُّفوليَّة ...
أحبَبتِ القوة التي أتسلح بها أمام كلِّ من يُقابلني بِنظراتٍ فيها شيء من شفقةٍ ورَيبٍ من حالي ...
كنتِ تعرفين ما بي دوماً ، و تتفهَّمين صمتي وسكوتي ، وتكشفين ضحكتي التي تصدُر مني لِإخفاء بكاءٍ على وشك الحضور ...
أسمَيتُكِ مرَّة : " بسمة الحياة " لِأني كلَّما رأيتُكِ ارتسَمَت بسمةٌ على شِفاهي وفي قلبي .. بِبساطة كنتِ ولا تزالين مصدر أملي ...

صديقتي ...
في جُعبتي الكثير لِأُخبركِ به ، في داخلي الكثير من الألم أودُّ التَّجرُّد منه أمامكِ ،
أودُّ البكاء بِحضورِك وإخراج تلك الدَّمعات المُحتبِسة داخل عينَيَّ وروحي والتي
تزيد في اختِناقي ...
لا أعرف لِمَ أشعر برغبةٍ في البكاء كلَّما ذكرتُكِ ، أو كلَّما حدَّثتُكِ ...
ولكنِّي متأكدة من أنّ أكبر خسارةٍ واجهتُها هي البُعد عنكِ ...
وأنَّ أكثر ما يُتعِبُ غربتي وحدتي بِدونِك ، وبدون أحاديثنا ، وبدون قهوتِنا ...
وبدون جلسةِ المتَّةِ خاصَّتِنا ...
فبُعدي عنكِ حبيبتي غربةٌ بحدِّ ذاتِها ...
اشتقتُ لِأن تُرغِميني على إكمالِ تفاحةٍ قطَّعتِها لي ذات زيارةٍ عندكِ ...
اشتقتُ لِأغانينا المليئة بكثير من الأمل والقوة والتفاؤل ، أغانينا التي تُميِّزنا ...
اشتقتُ لِتفاصيلِنا الكثيرة ، اشتقتُ لكِ ، وأتوقُ لِلجلوسِ معكِ طويلاً ...

غزل شتاء الكاتبة سارة ميّاس وليد عرفة

فريدةٌ أنتِ عن الجميع ، مُميَّزة عن كلِّ من قابلته ...

أحبك لِأنك أنتِ هي أنتِ ببساطتك وبراءتك وعفويتك ...

صديقتي التي كلَّما مررتِ بِخيالي في ليالي الغربة بكيتُكِ شوقاً وحنيناً ورغبةً بِأن أكون معكِ وبقُربك ...

ذات يومٍ كنتُ مُتعلِّقةً بأملٍ صغير جداً وعلى وشكِ خسارته ...

وجدتُكِ تسعَين لِإخراجي من بؤرة الحزنِ والكآبة التي غرقتُ بها ...

فعلتِ كلَّ ما بوِسعكِ أنتِ و "جنا" .. ذهبتُما لِلبعيد من أجلي ...

ولكنَّ قدري بالفشل كان أقوى من كلِّ محاولاتكما ...

ثمَّة سرٌّ لم أخبركما به من قبل !!...

بِأني لم أفشل وقتها بل ربِحتُ أكبر جائزة كنتُ بحاجتِها ، حبَّكُما الصادق لي !...

غيداء الكاتبة ميّاس وليد عرفة

-"جنا" ...

تلكَ الفتاة التي لامسَت طفولتي ، واستطاعت إخراجَها بعد أن أيقَنتُ بِأنِّي كبُرتُ حقاً ، عِشنا الطَفولة معاً عندما كبُرنا ، كُنَّا شقيّتان معاً ، مُتشابِهتان بِتصرُّفاتِنا ...

بِما نُحب ، بِما لا نحب ، بِكل شيءٍ تقريباً ...

لا زِلتُ أذكر أحاديثنا ، كلِماتنا ، ضحِكاتنا ...

هي أختٌ لي مع إخوَتي ، تشاركنا سوِيَّاً الأحزان والأفراح ...

تشاركنا جميع التفاصيل ، غضِبنا من بعضِنا البعض ، وعُدنا وكأنَّ شيئاً لم يكن ...

لكنَّ الفراق والبعد لم يكونا لِيهدِما صداقتنا المبنيَّة على الحب والصدق ...

وحدها الغربة من فرَّقني عنكِ ...

لازِلتُ أذكر أيام كنتِ تقضين الوقت في منزلنا وكأنه منزلك ، وأيام كنتُ أقضي وقتي بمنزلكِ بالمقابل ...

لم أشعر يوماً في منزلكِ بأني غريبة عنه أبداً ، كنتُ فيه وكأني فردٌ من أفراد العائلة ...

أذكر خالتي "والِدتك " عندما كانت تُحدِّثني وتُشجِّعني لِأن أُكمل الحلم وأكشِف عن كِتاباتي لِأُحيلها كتُباً تحمِلُ اسمي ككاتِبة ...

غادة شتا الكاتبة مياس وليد عرفة

كم كانت طيِّبة ومازالَت ، أفتقِدها وأفتقِد منزِلك وكل شيء ...
أفتقِد أختكِ التي صارت مع الأيام أكثر من صديقة لي ، أحاديثنا كانت لا تنتهي ، وقِصصنا كثيرة ، شعرتُ بأن شيئاً فيها يُشبهني ...
الآن .. أفتقِد الحديث ، أفتقد جلساتٍ أتحدَّثُ بها مع صديق ...
وكم من الأحاديث خبَّأتها لكنَّ لحين عودتي ...
أتُراني أعود يوما !!...
أتراها تتركني الغربة بعد أن اختطفتني وحياتي وآمالي ذات حرب !...
غربتي جعلَتني غريبة عني بتغريبي عنكن صديقاتي ...
غرَّبتني عن أبسط ما أحب .. رؤيتكن التي باتت الآن حلماً صعب المنال ...
في كل لحظاتي كنتُ أجدكنَّ معي ، في اللحظات الصعبة والكئيبة ، وفي لحظات شقائي ، في اللحظات السعيدة والجميلة ، وفي لحظات فرحي ...
لم أشعر بِنقصي أو بمرضي يوماً قضَيته معكن ، بل أني كنتُ أشعر بأني فراشة تطير لِتحصُد أكبر كمٍّ من السعادة والذكريات الجميلة ...
أن تجِد من يستطيع فهمك وفكَّ شيفرات حزنك وصمتك هو حياة كاملة أُعِدَّت لك ...

حياة تُبعِدك عن واقعٍ ليس فيه سوى الحزن والكثير من الصَّدمات والخيبات ...
حياةٌ جديدة تعشقُها وتعشقُ نفسك وكلَّ ما حولك فيها ...
أذكر الأيام الماطِرة التي كنا نجوب بها مدينتنا مشياً تحت قطرات المطر الدافئة التي تغسل أرواحنا من سواد الحزن والآلام ...
كم كانت لحظات المطر أجمل لحظات حياتنا .. كم من الأحلام رسمنا على الطرقات المبلولة .. وكم من الأسرار قلنا وشهِدت عليها بضعُ قطراتٍ صغيرة ...
كم من يأسٍ قتلناه ودفنَّاه بابتساماتٍ راضيةٍ قانِعة ...
كم من أحلامٍ بسيطة تمنَّيناها سويةً بقلوبٍ راجية ، لم تكن سوى أن نكون معاً دوماً ...
بكلِّ ما أوتينا من فرحٍ نقضيها معاً بِبساطتنا التي كنا نتحلَّى بها ، ونمتاز بها ...
ترتسِم في ليالي غُربتي الطويلة والكئيبة صورتي معكنَّ صديقاتي ...
كنتُ سعيدةً دون أن أدري أو أشعر ، كنتُ أُوهِم ذاتي بوجود حزنٍ داخلي ...
ذاك الوهم الذي بقيتُ مريضةً به لسنين طويلة ولم أعلم سببه ...
الآن علمتُ بأنه لم يكن سوى خوفٌ من فقدانِكنَّ ...
وها أنا قد افتقدتُ رؤيتكنَّ والجلوس معكنَّ ، افتقدتُ الحديث والضحك ، افتقدتُ السعادة والراحة ،

افتقدتُ كلَّ شيءٍ محسوسٍ ومرئي لكُنَّ رغم وجودكنَّ في قلبي وتفكيري ،لم تغِبنَ عن بالي لحظة واحدة ...

ليتني أعود إلى سعادتي الأبديةِ معكن ...

-"غصون " ...

عندما رأيتُها في المعهد لِلوهلةِ الأولى شعرتُ بأنَّ فيها ما يجذِبني .. ما يُشبِهني ...

ولكني لم أقترِب منها أبداً ، فلم يكن من عادتي الاقتراب من الغرباء إن لم يُباشروا هم بالاقتراب ، ليس تكبُّراً أو استِعلاءً بل خجلاً وخوفاً ...

خجولةٌ أنا بطبعي ، وخوفاً من أن أفرِض نفسي على أحد لم يتقبَّلني ، خوفاً من نظراتِ الشفقةِ التي أراها تقريباً في كلِّ العيون ...

ذات يومٍ ماطر كانت تبحثُ عن مجيبٍ لِسؤالها وللصدفة لم تجد غيري ...

سلَّمَت عليَّ وسألتني وأجبتُها وبعدها بدأنا بالتعارف وفتحنا عدة مواضيع ...

لمستُ فيها الطيبة والتواضع ، وأغرَتني لهجتُها العراقيَّة التي دمجت فيها بعضاً من لهجتِنا السورية ...

أحببتُ سمارها وطريقتَها في الحياة ، فقد كانت تحمِل من الأمل ما لم أستطِع أنا حملَه ، تعلَّمتُ منها كيف أعيشُ بتفاؤلٍ وأترك كل ما يؤلِمني ويُخيفني على ربِّ العِباد ...

تعلَّمتُ منها كيف أعيش ...

كانت هاربةً من حربٍ وحشيَّةٍ وقد اختارت " سورية " موطِناً ثانٍ لها ...

وقتها لم يكن يخطر ببالي ولو لِلحظةٍ واحدة بأن تصل الحرب إلينا ...

لم يكن يخطر بِبالي بأني سأتغرَّب يوما ، وبأنَّ غصون ستتغرَّب ثانية ...

حدَّثتني عن بلدِها ومدينتِها ، عن إخوتِها وأهلها ، عن بيتِها وأصدقائها ...

عن كلِّ شيء ، حتى أنها أفصحت لي عن اعترافٍ صغير !...

قالت :

((قبل أن أتعرَّف بكِ عن قرب كنتُ أراكِ فتاةً مغرورة ومُتعالية))

تعجَّبت من كلامِها وسألتُها : لِماذا ؟ ...

أجابَت : لم أركِ تتحدثين مع أحد أو تقتربين من أحدٍ في المعهد سوى من " السكرتيرة " ...

حتى أني أشعر بأنكِ تملِكين نظرة اللامُبالي بأحد ...

ضحكتُ وقتها كثيراً لأن شعورها ذاك لم يكن في مكانِه ...
أخبرتُها عن سبب عدم اقترابي من أحد ، وأخبرتُها أيضاً بأن "السكرتيرة " لم تكن سوى صديقةٍ قديمةٍ لي أحبُّها وأُكِنُ لها في قلبي احتراماً ووفاءً ، لذلك أتجرَّد من جميع مخاوِفي وأفكاري السلبيَّة بحضورِها ، حتى أني أشعر بطفولتي معها ...
لم تكن إنسانة عاديَّة في حياتي ، بل أني كنتُ أجد الحياة بِقربِها ...
سألتُ غصون بعدها : والآن بعدما عرفتني كيف أبدو لكِ ؟؟...
قالت بأني أبعد ما يكون عن الغرور والاستعلاء ، وبأني كطفلة صغيرة مليئةٍ بالحياة ...
أوصتني مرة بِحفظِ جملةٍ ووضعِها أمامي في كلِّ أمرٍ أواجهُه ، وفي كلِّ مرةٍ أفشلُ في تحقيق أمرٍ ما ، في كلِّ مرَّةٍ أقعُ فيها ، وفي كلِّ مرةٍ أخسر فيها أحداً أو شيئاً ، في كل مرَّة أفرح فيها ، وأفوز فيها ...
((سـأجعلُ القدر أحلى الأماني)) ...
ومن حينها لم أنسَ تلك الجملة أبداً ، بل أنها باتت تقفز إلى أفكاري كلما شردت ...
ولم أنسَ غصون .. تلك الفتاة القوية المعجونة من إيمان وأمل بأنه مهما كانت الظروف قاسية وصعبة لا بدَّ من مجيءِ قدرٍ يغيّر كلَّ شيء إلى الأفضل ...

إن شاء الله حدوث ذلك ...

إلهام ...
لم أتوقع يوماً بأن تتطور علاقتُنا إلى صداقة حميمة ...
فعدما رأيتها في البداية وعرفتها ظننتُ بأنها ستكون كجميع العابرين ...
سلامٌ وابتسامة فقط !!...
لكن إحساسي الذي لطالما خذلني فعلها الآن وخذلني مجدداً ، حتى أصبحتُ إنسانة لا تثق بما تحس به أحياناً ...
مكانٌ ما جمعنا وطوَّر علاقتنا حتى بِتنا من أعزِّ الأصدقاء ...
مكانٌ قضَينا فيه أجمل أيامنا وأوقاتنا ...
مكانٌ شَهِد فشلنا ونجاحاتنا ، أحزاننا وأفراحنا ، شقاوتنا وجدِّيَّتنا ...
شهِد أملاً نمى وكبُر داخلنا ، وآخر تضاءل وأوجعنا وحطَّم عزيمتنا ...
شهِد صمودنا وتصميمنا على بلوغ الهدف ، وانكساراتنا المفاجئة ...
أفعالُنا الجنونية تلك لازِلت أذكرها .. لم تغِب عن بالي لحظة ...

حصرية تستا للكاتبة هيام وليد عرفة

رغم اختلافنا في بعض الأمور لكنَّنا كنَّا نحمل في قلوبنا الحب ذاته ...
والصدق ذاته ، والطيبة ذاتها ...
وبعض الاختلاف يكون لذيذاً بعيداً عن التشابهات والروتينات ، وأنا التي لم أحب التشابه يوماً ، أحببتُ فكرة اختلافاتنا البسيطة ، بل أنها أغرتني وأعجبتني ...
في بعضِ الأحيان علينا البحث عن أشياء مُختلِفة عنا ، لأن التشابه يُفضي إلى الملل ، والملل بؤرةٌ عميقة من ضياعٍ وتشتت وأحيانا إهمال ...
ثلاث أشهر تقريبا قضيناها في المركز الثقافي في مدينتي " التل " _ أنا وإلهام و غصون _ غيَّرت الكثير في حياتنا ، غيرت حتى بعض أفكارِنا ومخاوفنا ، غيَّرتنا نحن ، علَّمتنا أن نكون يداً واحدة وأن لا نيأس مهما كانت الضغوطات والصُّعوبات تحيطنا .. لا بد لها من الاندثار والانكسار ، ولا بد لقلوبنا الحالمة من الرقص على أوتار النجاح وبلوغ الحلم ...
كثيراً ما أحبَّت حروفي المُتردِّدة الخجولة وكلِماتي التي تترنَّح بين الحزنِ والأمل ...
حتى أنها آمنَت بها ...
بل كانت على ثقةٍ بأني ذات يومٍ سأغدو كاتبة !!!...

دقَّت الغربة أبوابنا مُكشِّرة عن أنيابِها وابتسامتِها الخبيثة بأنها ستُفرِّقنا جميعاً ...
وتنثُر كلاً منا في بلدٍ مختلِف ، وكأننا لعبة أحجارٍ أمامها ، كلُّ حجرٍ ترميه في مكان بعيد عن الحجر الآخر ...
في البداية وقع اختيارها على غصون التي شاءت أقدارها بأن تتغرَّب ثانيةً من وطنٍ أحبَّته واعتادت الحياة فيه وعشِقته إلى موطِنها الأصلي العراق ...
موطنها المُشتَّت أصلاً ، والذي يحلم ونحلم جميعنا بأن يعود عراقاً عريقاً جميلاً آمناً ...
تغرَّبت مُجدَّداً من حربٍ جديدة لا زالت وليدة إلى حربٍ دامت طويلا ولم تهدأ بعد ...
ومن ثم اختارت إلهام بعدها ...
لتودي بها غربتها إلى لبنان ، ذاك البلد الذي كان له نصيب وفير من الألم ...
رحلت لتبدأ مشوار حياتها بلا يأس أو هوان ...
قرّرت أن تكون الأقوى وأن تصنع حياتها وهي الفتاة التي لم تعرف لليأس عنوان...

قرَّرت أن تتحدى غربتها بتقبُّل الظروف الجديدة المفروضة عليها والبدء بحياة بعيدة عن الفقد والألم ...

لم أتخيل يوماً بأن يقع اختيارها التالي عليَّ وعلى عائلتي ...

ولكنَّ الأمور بدأت تتسارع والعنف يزداد ، انتشر أولئك الذين يدَّعون بأنهم جيش يحمي الوطن بأرجاء مدينتي الهادئة ...

انتشروا يُخرِّبون ويوزِّعون خوفاً ورعباً حيثما كانوا يتمركزون ...

لم يعد للأمان مكان في وطني ، لم يعد بإمكاننا الذهاب حيثما نود كما كنا قبلاً ...

بات الخوف المُسَيطر الوحيد على الوضع حينها ...

ذات رمضانٍ امتلأت سماؤنا بطائراتٍ ذات أصواتٍ عاليةٍ تبُثُّ رعباً في قلوب السكان ...

كانت قريبة من المباني ، وكانت هي ذاتها التي أسقَطَت براميل موتٍ ومازالت على أحياء برزة وحرستا وداريا من دمشق ...

هي ذاتها طائرات الموت التي تبُثُّ رعباً ودماءً وخوفاً ...

غربة شتاء للكاتبة مياس وليد عرفة

أذكر حينها عِندما تركنا منزِلنا لِلمرة الأولى وذهبنا تحت تحليق الطيران فوق رؤوسِنا إلى بيتِ جدي القريب منَّا ...

أذكر ملامح الخوفِ والرعبِ في وجوه عائلتي ، وأذكر الخوف الذي كان يرتجف داخل قلبي ...

أذكر الدعوات والابتهالات التي كنَّا نطلِقها لله الحافظ بأن يحفظنا وبلادنا ...

أذكر بعدها بفترة كيف قرَّرت تلك الطائرات الغادرة أن تضرِب ببراميلها وحملِها من الموت والدمار على مدينتي "التل" ...

فجأةً لملمنا ما يلزمنا من أمتِعة وحاجيات ورحلنا مُبتعدين عن الدمار وملامح الموت ...

ذهبنا إلى مدينة قريبةٍ من مدينتِنا عند أقارِبنا ، استأجرنا منزلاً صغيراً مكونٍ ثلاثِ غُرفٍ ليست كبيرة لحدٍّ كبير ...

وكنا ثلاثُ عائلات في منزلٍ واحد !...

منذُ وصولي لِلوهلة الأولى إلى ذاك المنزل وأنا أشعر بالانكسار والهوان ...
أشعر بأنَّ شيئاً ما داخلي يتعمَّد خنقي وكتم صوتي الرافض لِما ينتظِر مدينتي من نصيبها في الدمار ...
أشعر بحقدٍ كبيرٍ على تلك الحربِ التي لا تعرف ولن تعرِف لِلرحمة طريق ...
بكيتُ كثيراً ، بكيتُ ما آل إليه وطني ، بكيتُ من مات قصفاً في وطني ،
ومن سيموتُ قريباً ، بكيتُ ياسميناً بدا عليه صِباغ الدمِ والموت ...
مع وصولِ الصوتِ الأولِ من القصفِ الغادر على مدينتي انهارت قِواي و
بدأت التهيُّئات والخيالات تعرِضُ نفسها في ذهني الغائب عن الحياة ...
عن الواقع .. عن كلِّ شيءٍ سوى حربٍ فرضَت نفسِها على وطنٍ لم يعرِف يوماً إلا الخير والحياة ...
بدأتُ أرى أشلاءً وأموات ، صِرتُ أسمع أصوات صراخٍ وعويل ، أصوات تنهُّدات .. أصوات أطفالٍ لم تجِد سوى البكاء وسيلة للتعبير عن خوفهم ورعبهم ...
صِرتُ أتخيل حال أولئك المحبوسين تحت أنقاضِ بيوتهم ...
أتُراهم سيصمدون ويعيشون أم أنهم سيموتون تحت جدران بيوتهم المهدَّمة ؟...

أستفيق من اغماءتي على صوتِ الضربِ والقصفِ والدمار الواصِل إلى أُذنيَّ من مدينتي الصامدة ...
أنظر حولي ، ثمة ملامح كثيرةٌ خائفة وملامِح راجية من الله رحمة ...
ثمة أصوات تمتماتٍ من الدعوات فلم يكن بِوسعنا سوى الدعاء والترجي من الله ...
أقوم وأدعو الله وأرتجي كما يفعلون وأمسك قرآني لِأتلو سورة "يس" ...
بعد ثلاثة شهورٍ من الترقُّب والخوف .. من التوتر والألم .. من حصارٍ فُرِض على مدينتي .. وبعد شهورٍ من زيارة الحرب الغير مرغوب بها إلى وطني ...
عُدنا إلى المنزل .. عدنا والخوف يسيطر علينا من مجهولٍ ينتظرنا ...
لا أنكر بأن تلك الحرب الهمجيَّة فجَّرت رغبتي بأن أصرخ عالياً ...
أنا كاتبة !!!...
لم يكن أمامي طريقة أعبر بها عن رفضي للموتِ والدمار والحرب سوى الكتابة ...
لم أجد سلاحاً أُندِّد به أساليب الحرب الهمجيَّة والقمعيَّة سوى قلمي ...
قلمي هو ذاك الصَّارخ النازف والرَّافض ...
قلمي هو ذاك السلاح الذي سأدافع به عن كل مظلومٍ جائع مسلوب الحقوق والحريات ...

هو ذاك الكارِه لغربة فرضت نفسها عليَّ وعلى أبناءِ الوطن ...
الكاره لِحربٍ قتلت ابتسامة كانت يوماً مُشرقة في وجوه السوريين جميعاً ...
أسأل الله ثباتاً وقوة وفرجاً قريباً ، وأرتجيه أن يصبَّ في قلبي أملاً كثيراً أبثُّه إلى قلوب المظلومين بكلماتي ...
أخجل من عجزي عن فعلِ شيءٍ سوى الكتابة !...
ولكن ما بيدي حيلة سواها والتوكلِ على الله ...

يوم رحيلي كان يوم انتِشال روحي مني ، يوم غياب النور والأمان عني ...
كان يوم رحيلي عن روحي التي بقِيَت معلَّقةً بين نسمات الوطن ...
يومها بقيتُ مُتشَبِّثةً بِصديقتي حتى أنَّ دمعاتي لوَّثَت قميصها حزناً واختناقاً ...
لم أحتمِل فكرة أن يُفرِّقني عن وطني وعن صديقاتي وحياتي التي أحببتُها شيء ...
حتى لو كان حرباً !!...
أذكر قطعة الحلوى التي أحضرَتها لي ...

مازِلتُ أحتفظ بها إلى الآن من فرطِ جنوني كذكرى ليوم فراقي لِروحي ...
كذكرى من صديقةٍ لم تكن سوى قلبي النابض والأمل الذي أعيش فيه ...
أوصتني صديقتي قبل الرحيل بأني إذا ما داهمني اليأس والحزن لحظة أن أرفع في وجهه إصبع الأمل لِأتسلَّح به ضد الضعف والهوان ...
لازلتُ أذكر ضحكتي المُمتزجة ببكاء حارقٍ عندما اكتشفتُ بأن إصبعي ذاك لم يكن إلاَّ مِعوجّاً !!...

لم يخطر بِبالي يوماً أن نظرتُ إليه بِتمعُّن ، الآن صرتُ أتأمَّله وكأنه هديةٌ ثمينة حصلتُ عليها فجأةً ...
أذكر ملامِح "جنا " المحقونة بحزنٍ ودموعٍ لا يستطيع أحد إلاَّ أن يُميِّزها و يكشِفها مهما حاولَت إخفاءها ، شعرتُ بها تخنُق دموعها كي لا أراها وأضعُف فوق ضعفي أكثر ...

لِذاك السوار الأزرق عِشق في قلبي ، كيف لا يكون له ذلك وهو تذكار جنا لي قبل الرحيل ...

وحدها من يعرِف ولعي وحبي لِذاك اللون ...

جميلة هي التِّذكارات ، بإمكانِها انتشالكَ من واقعكَ إلى ذاك الزمن الذي كنتَ فيه
في قِمَّة سعادتِك وهنائك ، بعيداً عن اختِناقكَ ، وغربتِك ...
مرَّةً حلُمتُ بأنَّ دموعي ما زالَت عالِقةً على قميصِ صديقتي ...
بِأني كل يومٍ أشتاقها وأحتاجها أكثر ...
أخبرتُها بما رأيت وبكيتُ من فرطِ الألم من شوقٍ يُسيطر عليَّ ويُذكِّرني بأني
لستُ سوى مُفارِقة لِسعادتي وحياتي ...
مع أنَّ أحاديثنا لم تكن سوى " دردشات كِتابيّة على مواقع التواصل الاجتماعي " ...
لا أستطيع سماع أصوات صديقاتي ولكني لم أنسَ نبرة أحدٍ منهن جميعاً ...
_ من ذكرتهنَّ ومن لم أذكرهن في سطوري أعتذِر منهنَّ أشدّ اعتِذار
ولكنِّي أقسِم بأنهنّ في قلبي وبين ذكرياتي _
سأبقى أفتقِدكنَّ صديقاتي حتى يشاء القدرُ لِقاءنا من جديد ...
وكم دعوتُ الله ورجوتُه أن تنتهي الحرب وتموت الغربة ونعود كما كنَّا قبلاً ...
سُعداء في أحضان الوطن تحت ظِلال أشجار الزيتون بِجانب ياسمينةٍ بيضاء
نقيَّة أبَت إلاَّ أن تُمتِّعنا بعبيرِها النَّدِي ...

و هل هناك أجملُ من ياسمينةٍ بيضاء تنثُر عطرها أملاً وحباً في القلوب النقيَّة ؟...
تلك الدردشات الكتابيَّة تقتلُ أجمل اللحظات وأدقّ التفاصيل التي من الممكِن أن تكون الأجمل على الإطلاق خلف شاشةِ هاتفٍ تحوي مجموعة من الحروف والكلماتِ المُحمَّلةِ بالشّوقِ والحنين واللَّهفة لِلعودة واللِّقاء ، ولكنَّ حاجتنا للشعور بالقربِ والاطمئنان على أحوالِ بعضِنا البعض تُجبِرنا على تقَبُّل هذا النوع الذي أعُدُّه " كذِباً على الذات " علَّنا نستطيع من خلاله إطفاء لهيبِ الغربة اللاذع ...
بعضُ الأحلام تبقى أحلاماً مهما رسمنا لها مِن مشاريع وخطط ...
والبعض الآخر منها تموتُ قبل أن تُولد وتتنفَّس شيئاً من أكسيجين هذه الحياة المُلوَّثة بِواقع كئيب وأحلامٍ باتَت على مهبِّ الرحيل ...
غريبةٌ الحياة بِمفاجآتِها !...
كم من الخُططِ رسمنا كي نبقى معاً ، كم من الجلسات التي يغزوها البُكاء والضَّحك والكلِمات المُبهمةُ التي لا يفهمها سِوانا ، وكم من الآمالِ تحدَّثنا عنها وكأنّنا كُنَّا على ثِقةٍ بأنَّنا سنُحقِّقها معاً ...
فجأةً !..

هجمَت الحربُ كغيمةٍ سوداء غطَّت كلَّ شيء بالآلام والأوجاعِ والظلام ...
جاءَت بِملامِح شبحٍ مُخيف يرمّي البعض في قبورٍ ، وآخرين يُوقِعهم أمواتاً دون قبور ...
يسفِك دماً هنا ويقتُل حياةً هناك ...
وتأتي بِالغربة الشمطاءِ كعجوزٍ بشِعةٍ شامِتةٍ ساخِرة لِتسرقَ البعض من الوطن فتُغرِقهم
في سجنِها وحِرمانِها من كلِّ شيءٍ سِوى الحنين القاتل ...
وتُجبر آخرين على المُكوثِ غُرباء داخل الوطن تحت سقفِ الموتِ والفقرِ والجوعِ
والحِرمان والفقدان معدومي الحياة ...
إذاً جاءت الحرب وفرَّقتنا جميعاً !!...
وزَّعتنا على بُلدان أخرى مِن العالم ، وبعضُنا أبقَته تحت رحمة حربٍ لا ترحم !...

-7-

((غُربة شِتاء ...))

في واقِعنا القاسي و المليء بالأحداث المؤلِمة والحزينة ...
واقِعٌ لا يحملُ سِوى الطمع والجشع وحبِّ المصالِح ...
واقعٌ يحشو أدمِغة البشر بِأفكارٍ غريبة ليست من بين أفكارهم ...
أفكارٍ فيها من الأنانيَّة والظلم القسم الوفير ...
واقِعٍ يعتمد سياسة القويِّ دائماً ، ولا ينظُر لِحال الضعيف ...
حتى أنه باتَ لا يهتمُّ بِأمره ، لِأيّ درجةٍ مِن الانحطاط الإنساني وصل بنا الحال ؟...
واقعُنا بات يعيشُ على الحروبِ ويقتاتُ منها ، يمشي على أجسادِ الفقراءِ ويأكلُ قوَّتهم ..
ويحرِق آخِر ورقةِ أملٍ يمتلِكونها ، لِيُصبحوا عُراةً تماماً من أيِّ لمحةِ أملٍ تبرُقُ أمام أعيُنهم ...
من أين أتَت الحروب بكلِّ هذا الدمارِ والقسوة ؟...

غربة شتاء الكاتبة مياس وليد عرفة

أو أنَّ الأصحَّ يجب أن يكون : لِماذا تُقامُ الحروب فوق رؤوسِ الفقراءِ والمساكين ؟...

أليس من حقِّهم العيشُ كغيرهم من البشر ؟...

هو واقِعٌ أشبه بشتاءٍ شديد البرودة والصَّقيع يعيشُه اللاجئون تحت الخِيامِ القماشيّة ...

شِتاءٌ يعيشه الطفلُ الفقيرُ على قارِعة الطريق وقد تيبَّسَت أطرافه برداً !...

شتاءٌ يعيشُه الطفلُ اليتيمُ وهو ينظر أقرانه من الأطفال بين آبائهم ويتمنى أمنية بسيطة ...

" ليتَ لي أبوينِ مثلهم !... "

فيبكي ألم الفقدِ والوحدة والاحتياج لِحضنٍ دافئٍ يطرُد عنه همومه ...

وأيُّ شيءٍ أقسى من حياة طفلٍ .. فقير .. ويتيمٍ معاً !!...

شِتاءٌ يفتقِد فيه الرجل كرامته وعِزَّته وحقَّ احتِفاظه بدموعه !!...

لِيصرخ بِأعلى صوته باكياً :

" إلى متى ؟.. يا الله قد ضاقَت بي السُّبل إلاَّ منك !..."

شتاءٌ تفتقِد فيه الأمُّ أولادها لِينضموا إلى قوافِل الشهداءِ والمفقودين والمُعتقَلين ...

وأحياناً تفتقِد فيه سَنَدها الوحيد في دُنياها ، ذاك الذي تستمِدُّ منه قوَّتها لِتغدو بِلا حولٍ ولا قوة بعدَه ...
وفي ظروفٍ أخرى تفتقِد فيه فتياتٌ حياتهنَّ وكرامتهنَّ وبعضهنَّ يفقدنَ عُذريَّتهنَّ !!...
شِتاءٌ يفتقِد فيه الوطن أبناءه فينقسِمون إلى شُعَبٍ كثيرة ...
مؤيِّدٍ ومُعارِض .. قاتِلٍ و مقتول .. مُقيمٍ ومُغتَرِب .. فقيرٍ وغني .. ميِّتٍ وحي ...
فأما المُعارِضُ والمؤيِّد فهُما وقودُ الحرب ، أحدهما ثارَ من ظلمٍ و ذُلٍّ ...
والآخرُ قام لِأنه يريدُ إخماد الآخر فحسب ...
أحدُهما يُدافعُ عن أرواحٍ و حياةٍ وعقيدة ، والآخر يدافع عن أفكارٍ قديمةٍ مَحشُوَّةٍ داخل رأسه ...
أحدهما تطوَّر به الحال الصَّعبُ لِأن يتخلَّى عنه الجميع رُغم رؤيَتهم ما حلَّ به من دمارٍ و موتٍ وقتلٍ وجرائم كبيرة حدَّ الذهول و الدَّهشة فيبقى مُتَمسِّكاً بِحبلِ الله لِأنه يؤمِن بِما يُدافِع عنه ...
والآخرُ يقوى بالجميع دون أن يُدرِك بأنَّ الله يمُدُّ لِلظالمين وينصُر الحقَّ والمظلومين بعد حين ...
وأما القاتِل والمقتول فهما وجهٌ من وجوهِ الحرب ...
أحدُهما يقتُلُ بِأساليب مُتنوِّعة ومتجدِّدةٍ في كلِّ مرَّة !...
والآخرُ يُقاوِم حتى تُفارِق روحه الجسد !...

أمَّا عن المُقيم والمُغترِب فأحدهما يُقيم في وطنٍ جريحٍ كئيبٍ يُقاوِم برده وجوعه وفقره وحربه و دماره ...

والآخر يقيمُ في أوطانٍ مُتفرِّقةٍ لم تحتمِل وجوده فوضَعَت في وجهِه القوانين والقرارات وقيَّدَته بِجوازاتٍ و إقاماتٍ ومصاريفَ تفوقُ قدرتَه و كأنه زائرٌ غنيٌّ أتى بِهدفِ السِّياحة !...

بل إنَّ بعض البُلدان نصبَت الخيامَ المُهترِئة على حدودِها حتى لا يدخُلَ إليها أحد !...

وليتدبَّر أولئك الهاربين من حربهم أمرَهم مع البردِ والحرِّ والجوعِ والمرض وكافة المُقوِّمات التي ستُواجه حياتهم الجديدة هناك !...

أيُمكنُ لِأحدٍ أن يُخبِرَني من أينَ لِهاربٍ من وطنٍ مُدمَّرٍ بِكلِّ هذه المبالِغ التي تفرِضونها عليه ؟؟...

ألم يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلَّم بِمُساعدة المُحتاجِ والضعيف ؟...

أين أضَعتُم وصيَّة قُدوَتِكم يا مسلِمين ؟....

من أين لِهاربٍ من موتٍ و أنقاضٍ أن يدفع مصاريف لجوءه لِبلدٍ عربيٍّ مسلِم ؟...

من أين له بِتأمين إيجارِ السكن الغالي ، ودفع ثمن إقامته ، وتكاليف علاجه الباهظةِ جرَّاء

الضُّغوطاتِ النَّفسيَّة التي قدمتموها له كهديَّةٍ لِلجوءِه إليكم !!...

علاوةً على قانونكم الجديد الذي بدأتم بتنفيذِه ، والذي ينص على أنَّ :

" على كلِّ مُغترِبٍ أو لاجيءٍ إلى بلادِنا بأن يتجرَّد من كافةِ أحلامِه وآمالِه والتخلصَ منها قبل الدخول !!... لا مكان لِأحلامكم هنا !... "

آآآآهٍ منكِ يا حربُ .. متى ستنتهين لِيعود الوطنُ ونعود إليه ؟...

ذات صباحِ شتاءٍ باردٍ في وطني قبل أن تسرِقني غربتي منه ، قرَّرتُ بأن أكون الدِّفءَ لِلقلوب البارِدة ، و لِلأرواحِ المُتعبة ...

قرَّرتُ أن أكون شِتاءً دافئاً يبُثُّ دِفئه بِكلِماتِه وحروفه ...

قرَّرتُ أن أكون شِتاءً يأمَلُ بِدفءٍ يُغَلِّف حياتهُ البارِدة ...

قرَّرتُ أن أكون كاتِبةً ، أكتُبُ عن الضَّعفِ وعن أولئك المُحتاجين لِلأمانِ والحياة ...

أكتُبُ عن أولئك المُختلِفين الذين يحلُمون بأن تتغيَّر حياتهم مِن مرارةٍ و قدَرٍ كُتِب عليهم ، وتوجَّبَ عليهم تَقَبُّله و الصَّبر عليه وتحمُّل نظرات أولئك الذين لا يُمكنُهم حتى تَخيُّل الألم الذي يرمونَه بتِلك النَّظراتِ في قلوبهم ...

أكتُب عن وطنٍ يموتُ وينهارُ و لا أحدَ يُحاوِلُ حتى أن يُقدِّم لهُ و لِأبنائه يد العون ...
عن وطنٍ ضاع أبناؤه وتذوَّقوا الكثير من الأسى والألم ، وأشدَّ أنواعِ العذاب ...
عن وطنٍ باتَ مقبَرةً .. زُوَّارها كُثرٌ بفعلِ الحرب !!...
تِلكَ الحربُ الهَوجاءُ التي أتَت بِدمارِها وكافةِ صُورِها المُشوَّهَة الكئيبة ...
عن غربةٍ قتلَتني حين رمَتني خارج حدودِ وطني وتركَتني أتجرَّعُ مرارة الفقدِ والحنين ...
ومرارة الأحلام التي ذبُلَت وماتَت حين وطَأَت قدماي طائرةَ الرَّحيل ...
غُربة شِتاء هي غُربتي وغُربة أبناء وطني سواء ...
غُربتي حينَ قدِمتُ على هذه الدنيا كَوني من فئةِ المُختلِفين !!...
وغُربتي حين ابتعدتُ عن أصدِقائي ومن ثُمَّ نجومي وشُرفَتي وأخيراً .. وطني !...
وحينَ تغرَّب وطني عنهُ لِيرتدي حِداده المُلوَّن بالدماءِ والخوف ، رِداءَ الحربِ !!!...
غربة أبناء وطني اللاجئين في بِقاعِ الأرضِ يتوَسَّدون السَّماء بلا مكانٍ دافئٍ ولا حتى أمان ...
وغربة أولئك الذين استُشهِدوا ومازالوا يُستَشهدون و يودِّعون الأرض بعد أن وضعوا
بصمتهم عليها ...
غربة أطفالٍ حُرِموا حتى من حقِّ الطفولة والحنان ، أطفال فقدوا آباءهم وألعابهم وبيوتهم وأحلامهم...

أطفال فقدوا أرواحهم برداً وجوعاً وليس بِفعلِ أسلِحة الحربِ من الرَّصاصِ والقذائف !...
أطفال حُرِموا من حقِّ العيشِ بسلام ...
متى تعودُ يا وطن السلام فالعالمُ ضاق بِنا و بِأحلامِنا وحدك من تتَّسِع لنا وبِنا ؟....

-8-

((عبرَ شاشةِ التِّلفاز !!...))

في وطنٍ هو ليسَ وطني ، أغرَقَتني غربتي وجرَّدَتني من آمالي و أحلامي ...
في وطنٍ لا يستقبِلُ الأحلام سُجِنتُ وبقيتُ مُعرَّاةً تماماً من أيَّ حلُم واحد ولو كان بسيطاً !...
في وطنٍ ليس فيه شيءٌ سوى الفراغ المُمِل الذي يلفُّني ويُحيطُ بي كالظلام الذي يلُفُّ صاحبه ...
في وطنٍ ليس لي فيه أيُّ بسمةٍ أو ضحكةٍ أو لمحةُ فرحٍ أعيش مُجرَّدة من كلِّ حلمٍ أو أملٍ تركته على أرضِ الوطنِ قبل صعودي طائرة الرحيلِ إلى منفاي الذي أتمنى فقط لو أني أستطيعُ الخروج منه بأي طريقة ولِأي مكان آخر لرُبما أجد بعضاً من أحلامي فيه ...
أن تعيشَ مُجرداً من أحلامك يعني أنَّ روحك تموت موتاً بطيئاً جداً ، يعني أنَّ الفراغ يلُفُّكَ من كلِّ جانِب والضياع في الأفكار يُسيطرُ عليكَ ، والتَّشتُّت هو الشَّيء الوحيد الذي تشعُرُ به ...
وهذه أكبرُ جريمةٍ اقترَفَتها غُربتي حين ابتلَعَتني ، إذ أنَّها جرَّدَتني من أحلامي المُتَمثِّلة بإكمال دِراستي والغرق في المركز الثَّقافي لِقِراءة الكتب واكتِساب الكثير من المعرِفة والأفكار والأصدقاء ، فأنا أعشق مُشاركةَ أحدٍ هواياتي و أفكاري وما أحب ...

وفي ذاكَ المكان كنتُ سأجِد ما أبحثُ عنه وما أتمنَّاه ...
ولكنَّ الحرب أتَت مُباغَتةً فحرمَتني وأبناء شعبي جميع الأحلام !...
حيثُما ساقتني غُربتي لم أستطِع إكمال دراستي ولا أن أُحقِّق شيئاً مما تمنَّيته ...
لم أكُن سوى سوريَّة لاجئةٍ كسائِر اللاجئين مسلوبي الآمال والأحلام ، لم أكن سوى سوريَّةٍ لاجئةٍ لا تملِكُ إقامة حيثُ تعيشُ غُربتها ، وإن كانَت تملِكها فرُبَّما تتعقَّد الأمور أكثر ...
لم يكُن عليَّ في هذه الحالة سوى الصبر وانتِظار الفرج من الله فهو حسبي وحسبُ شعبي وأبناءِ وطني المنتَشِرين في أقاصي الأرض بهمومهم وأحلامهم المرفوضة ...
وحده الوطن من يحتَضِن أحلامنا بِكثير من الحبِّ والأمل ...
ثلاثُ سنواتٍ ولم يُحِط بي سوى الفراغ والضَّجر وجدرانِ المنزل التي لا تتغير كلَّما استَفَقتُ وعدتُ لِلنوم من جديد ...
أصبحتُ أحسِدُ نفسي عندما كنتُ في الوطن أستيقِظُ صباحاً لِأُخرج سريعاً إلى شُرفتي أحتَسي قهوتي مُستَمِعةً لِصوتِ فيروز الهادئ ، وأتنشَّقُ هواء الصَّباح ونسماته التي تحمِل أملاً جديداً لِيومٍ جديد ، وأُسلِّم على الشمسِ الدَّافئة وعلى شجرةِ الزيتون الواقِفةِ كعادتِها وسط حديقةٍ صغيرةٍ تُطلُّ عليها الشُّرفة ، وعلى الياسَمينةِ العطِرَة النقيَّة التي تنشُر عبيرها

نقاءً وسلاماً على القُلوب المُستَيقِظة لاستِقبال يومٍ جديد ، وعلى أبنِيةِ الحارة المرصوصةِ بانتِظامٍ دائم ... أُراقِب وجوه المارّين المُتفائلة مِنها والبائسة ، الضاحكة منها والعابِسة ، التي تنبِض حياةً وأملاً وأخرى تكادُ تصرخُ آثارُ التَّعبِ والبؤسِ على ملامِحها ...
في وطني لِكلِّ وجهٍ ملامِح تحكي حكايةً وألف عِبرة ...
أُتأمَّلُ جارنا الطيِّب الذي ما انفَكَّ يتركُ قرآنه حتى يُداعِب أحفادهُ الصِّغار ، أحياناً كنتُ أتمنى لو أنني أكون حفيدتَه أيضاً ولو لِمرَّةٍ واحِدة فقط ...
يا لها من أمنِيةٍ ساذجة !...
بعضُ الأُمنِيات العجيبة تأتي لِقاء حبِّنا لِشخص أو لِشيءٍ ما ...
وأنا كثيراً ما أحببتُ طيبةَ وإيمان ووقار ذاك الرجل العجوز ...
أعود من ذاكِرتي وأنا أُردِّد : وأيُّ صباحٍ يُقارَنُ بِصاحٍ واحِدٍ في بلادي ؟!...
تمنَّيتُ لو أني أستطيع فِعلَ شيءٍ لِقتلِ ذاكَ الفراغِ المُتربِّص بي ...
لم أستطِع فعلَ شيءٍ سوى إمضاءِ الوقت الطويل على الانترنت وموقِع " فيسبوك " ...
منه تواصَلتُ مع أصدقائي البعيدين بالمسافات والذين يستَوطِنون القلب واطمأننتُ عليهم ، وعرَفتُ أصدقاء آخرين من بلدي ومن جنسِياتٍ مُختلِفة ، بعضُهم استطاعوا أن يَستَوطِنوا

قلبي أيضاً ويُصبحوا جزءاً من حياتي ...
وبعضُهم من تعلَّمتُ منهم الحذر وأن لا أنظر لِلجميع بِنفسِ النظرة البريئة ، فمِنهم الطيب ومنهم الخبيث الذي لا يُجيدُ سوى التَّلاعُب بالآخرين ...
ولكنَّ البقاء خلف شاشةٍ طِوال الوقتِ ومُحادثة الأصدقاء بِحروفٍ مُستَفِزَّةٍ صامِتة بلا حياة هو ما زاد ضجري واختناقي ، وأنا المُعتادَةُ على مُحادثةِ الآخرين وجهاً لِوجه ، أرقُب ملامِح وجوههم ، وأستمد من أصواتِهم وضحكاتِهم ونبرتهم الحازِمة أملاً وقوةً وشعوراً لذيذاً بأنَّ هناك من يحبني من الأعماق ، وأنَّ هناك من يستقبِلني بابتِسامةٍ إذا ما صادَفتُه ، وشعوراً بغيضاً بِأنَّ هناك نظراتِ شفقة تُشعِلُ نيران غضبي و قهري إذا ما لمحتُها من بعضِ الأعيُن الجاهِلة التي لا تشعُر بِمرارةِ الآخرين ...
في هذه البِلاد تذوَّقتُ المرارة والألم ، عِشتُ فراغاً وتشتُّتاً مُمِلَّين ولا شيء سِواهما ...
في هذه البلاد كرِهتُ نفسيَ التي أصبحَت كئيبةً كجفافِ طقسِها تماماً ...
أيكونُ هواءها وطبيعتَها الجافَّة انتقلا إلى روحي التي كانَت كتلة حياةٍ وأمل ؟!...
فقد أصبحتُ فتاةً كثيرة النومِ والشَّكوى ، كثيرة الأحلامِ قليلة الحيلة !...
وكأنَّ الأحلام عندما تكثُر ولا تجِد منفذاً تقِف على حافَّةِ الأملِ لِتسُدَّ نافِذتَه التي كانَت

تتدفَّق نوراً فيَغرقُ الحالِم بِفراغِ أوهامِه وآمالِه البائسة ...
في هذه البِلاد ساءَت صحتي وتراجَعَت أمتاراً إلى الخلف ، أصبحتُ ضعيفةً وأضعف مما كنتُ عليه ، لم يعُد باستِطاعتي المشي مسافاتٍ طويلةٍ كما كنتُ أفعلُ في وطني ...
فالمشيُ الدَّائم والمُتواصِل هو ما كان يُقوّي عضلاتي الضَّعيفة ويُحَسِّن من وضعي الصِّحي ، ولكنَّ بلداً يعيشُ على السياراتِ ووسائِلِ النقل المُختلِفة دون حركةٍ دائمة مستمرَّة مِن أين لي بِأملِ أن أُشفى به يوماً .. إلاَّ إذا أراد الله أمراً .. وما توكُّلي إلا عليه ...
أماكِنُ المشيِ المُخصَّصةِ بعيدةٌ عن المنزِل ويلزمُ الذهاب إليها بِسيارة والجميع مشغولونَ بِأعمالِهم ، من أين لي أن أمشي إذاً ؟...
لم تَرُق لي الحياة هنا ، لم أجد أكسيجين الحياة التي تنبِضُ بِقلبي راحةً وسعادةً وأملاً ...
ولكن عليَّ أن أصبِر ، فلرُبما هناك حِكمة إلهية بوجودي هنا ...
وكثيرٌ من الأملِ يأتي فقط من الإيمان !...
في هذه البِلادِ بكَيتُ كثيراً كلَّما ذكرتُ وطني ، وكتَبتُ كثيراً أيضاً !...
وحدَها الكِتابةُ كانت عزائي الوحيد في غربتي وشتاتي ، كانت مَنفَذي ومُتَنفَّسي الوحيد من اختناقي الدائم في بِلادٍ عديمةِ الأحلامِ والآمال ...

في غربتي أفصحت لِلجميع بأني كاتِبة ، كنتُ أنشُر كلَّ ما أكتُبه على" الفيسبوك " ،كنتُ أشعرُ بالامتِنانِ وبِشيءٍ من السعادة لِأنَّ ما أكتب كان يؤثِّر بمن يقرأ أحياناً ، ويُعجِبهم في كثيرٍ من الأحيان ، أشكرُ الله جزيلَ الشكر على هذه النعمة ...
واصَلتُ نشر أفكاري وكلِماتي على مواقِع التواصلِ الاجتماعي وكبُرت دائرةُ من يقرأ لي قليلاً ، هؤلاء هم من أعطوني دافِعاً لِأكمل ...
وصديقتي " إلهام " التي اقترَحَت عليَّ عملَ كتابٍ لي كي أقتل به اليأس والملل ...
في البداية كنتُ خائفة ورافِضةً لِلفكرة ولكنَّ إصرارها الدائم حوَّل خوفي إلى حماسٍ وأمل جديد ، بدأتُ بِجمعِ خواطري ونصوصي النثريَّة المُبعثرةِ هنا وهناك في دفاتري ورتَّبتُها جميعاً تحت عُنوانٍ اختَرتُه اسماً لي أيضاً " شتاءٌ دافئ " ....
وأبقَيتُه مُخبَّأً عندي لحين تحويله إلى كتابٍ ورقيّ ، بدأتُ أحلم بأن أكون كاتِبة حقيقيَّة ...
كاتِبة لها مُحبيها في كل مكان ، كاتِبة لها هدفٌ يكمنُ خلف حروفها ، هدفٌ سامٍ وهو نشرُ الأملِ والحب بين الناس ، ومُحاربة اليأس الذي يُهاجِم الأرواح الحزينة ، والدِّفاع عن حقوق أولئك المسلوبي الحياة قسراً والمظلومين والضعفاء و مُتضرِّري الحروب ...
بعضُ الأصدقاء يمتلِكون أداتهم الخاصة لِكسر اليأسِ والخمول المحيطِ بِنا لإخراج بِذرةِ

الأملِ المُختَبئة في أعماقِنا وزرعِها وإنباتِها بشكلٍ يتناسَبُ مع أحلامِنا ورغباتِنا ...
بعضُ الأصدقاء يمتلِكون المفاتيح السِّرية لِفكِّ أبوابِ اليأسِ الرَّامِيةِ بنا في أقاصي الحزن وإهداءَنا سعادة مُغلَّفةً بِأمل ...
هؤلاء فقط من يستحِقون الحبَّ ، وأحياناً يكون الحبُّ قليلاً عليهم ...
-عبر شاشةِ التِّلفاز في هذه البلاد شاهدتُ انهِيار وطني ودمارِه وموتَ أبنائه وتشرُّدهم في بِقاعِ العالم أجمع كلاجئينَ وهاربين وطالبي الأمان والسلام ولا شيء سِواهما ...
شهِدتُ دموعهم وبكاءهم ، وأحلامهم التي لا تتجاوز رغيف خبزٍ وكأسَ ماءٍ نظيف ...
شعرتُ بِذُلِّهم وانهيارهم ، أحسستُ بهم وبِكلِّ مآسيهم ...
لم أجد سوى أن أقتلَ الفراغ بالكِتابة عن وطنٍ ينهار وشعبٍ تائهٍ في الدمار !...
شعبٍ طلب يوماً حريَّةً وأمناً وسلاماً ، فثارَت عليه حِمَمُ الحروبِ بِبراميلِها ومدافِعها وطائراتها وسمومها الكيماويَّة لِتخمِد تلك الأصوات التي خُذِلَت من الجميع تعلو بِوجه الموت والحربِ مُكبِّرةً مُتحدِّيةً العالمَ أجمع ((ما لنا غيرك يا الله)) ...
ومن لهم سواه فهو القادِر المُقتَدِر والمُنتقِم لِكلِّ نفسٍ قُتلَت أو عُذِّبَت ظُلماً دون ذنب !...

فرُحتُ أُحوِّلُ مآسيهم كلماتٍ وحروفٍ بِنِيَّة التأثير على عقول وأحاسيس من يستطيع فِعل شيءٍ لهم ، فأنا لا يسَعُني فِعلَ شيءٍ سوى الدعاء والتَّضرُّعِ للهِ من أجلِ أن ينصُرهم ويَرُدَّ لهم كرامتهم ، وأن أُشهِر سلاحي الصغير بوجهِ المُتخاذِلين ليَروا ما يعيشه أولئك البائسين من موتٍ وظلمٍ وذلٍّ وانهِيار ...

كتَبتُ مرَّةً عن مُخيماتِ الموت التي نُصِبَت على حدودِ بعضِ البُلدانِ العربيَّة منعاً للاَّجئين من دخولِ أراضيها :

((في ظلامِ الليلِ يبكون صمتاً .. يصرُخونَ ألماً ...

بردٌ قارِصٌ يَلُفُّ أجسادهم البريئة ...

هُناك في مُخيَّماتِ الموت ...

تجلِسُ تِلك الأمُّ الحزينةُ مكسورة الخاطِر ، مجروحة القلب ...

دِماؤها تسقُط دموعاً من عينَيها ألماً وحسرةً على ما يُعانيه أطفالُها ...

هناك في مخيَّمات الموت ...

طفلٌ يصرُخ صامتاً لا أحد يريد سماعَ صُراخه !...

مع أنَّ صوته يملأ العالم ...

ويصِل إلى آخر أقاصي الأرض ...
-أشعر بالبرد !...
أين أمي ؟...
أين أصبح والدي ؟...
إخوتي ! تركتُهم في بلدي ، أتُراهم أحياء ؟...
أم أنَّهم حلَّقوا مع الطيور المُهاجِرة ؟...
بيتي ، أظنه باتَ ركاماً تطيرُ فوقه طيورِ الدمارِ والخراب ...
هناك في مُخيَّماتِ الموت ...
عطشٌ قاتِل يكادُ ينال من تلك الطفلة الصغيرة ...
فيَسرِقُ منها حقّاً من أبسطِ حقوقِها ...
هناك في مخيمات الموت ...
موتٌ بطيءٌ يخطِفُ طفولَتهم ...
وهناك في مخيمات الموت ...
أفلامٌ دراميَّة أبطالها " أطفال المخيمات " ... والعالمُ هو المُشاهِد ...))

رواية شتاء للكاتبة ميّاس وليد عرفة

هم يبيتون تحت أكوامِ الثُّلوج في خِيامهم ...
أين نحنُ ممَّا يشعرون به من آلام ؟...
ربما كان أحدهم مَيتاً في خيمتِه بسببِ بردٍ ينهَشُ جسده !...
وربما يكون أحدهم قد فقد صوته بعد صُراخٍ طويلٍ ولم يسمعه أحد !...
ثمَّة رضيعٌ قد حالَ قطعةً مُتجمِّدةً لا حِراك فيها !...
مَن تُراه يرضى بهكذا وضعٍ لِطفله ؟...
وثمَّة طفلةٌ تَئِنُّ وجعاً يكادُ يُوقِفُ دقَّات قلبِها !...
مَن تُراه يتحمَّل ألماً قوياً كهذا ؟...
وهناك أطفال قد التصق بطنُها بِظهرها من شِدَّة الجوع ...
مَن تُراه يقدِر على تحمُّل جوعٍ فاحِشٍ كذاك ؟...
هناك الكثير من القصص والحالات الصَّعبة ...
ليسَ لِأيٍّ مِنَا تحَمُّلَها ،وهم يعيشونها كلَّ يوم ...
ويصرخون ألماً بسببها كلَّ لحظة !...
أين نحنُ من كلِّ هذا ؟...

خاص بصفحة شتاء للكاتبة هيام وليد عرفة

أين نحن من دمعة أُمٍّ ترى أطفالها يموتون ولا تستطيع عملَ شيءٍ لِأجلهم ؟!...

أين نحن من صرخة طِفلٍ يُقاوِم موتَه ويتحمَّل بردَه بِجسدٍ نحيلٍ مريض !؟...

أين نحن من أبٍ يسمعُ بكاءَ أطفالِه الصِّغار كلَّ يوم ...

" أبي ! .. قد أفقدَنا البرد الشعورَ بِأجسادِنا "

وهو ذاته لا يقوى على تحمُّل برده !!...

أين نحن من خيمة قُماشِيّة ليس لها أيُّ فائدة سوى أنَّ اسمها " خيمة !" ؟...

أين نحنُ مِن شعبٍ يفقِد حياته برداً و جوعاً في زمن الأسلِحة والقذائف ؟...

أين نحن من شعبٍ يُبادُ في خِيامٍ داخِل الوطن العربي !!...

الذين قالوا عنه يوماً بأنَّ : " بِلاد العربِ أوطاني !" ...

وأضافوا عليها أنَّ : " العرب إخوة ! " ...

أيُّ أخوَّةٍ يتحدَّثون عنها والشَّعبُ السوريُّ في المخيَّمات !...

لا غِذاء .. لا شراب .. ولا حياة في بلادِ العرب ...

أقصِد !!...

من كانت يوماً بلاد العرب ...

للكاتبة ميّاس وليد عرفة

أتبخَلون على إخوتِكم بِمسكنٍ دافئٍ وغِذاءٍ وحياة !!...
وتكذِبون على أنفسِكم بِعروبتِكم ؟...
بريئون نحن من عروبتِنا إن كانت ستَسلِب مِنَّا إنسانيَّتنا كما سلبتكم إياها يا عرب !...
هُناك في مخيمات الموت تجمَّع أطفال حولَ كومةٍ صغيرةٍ من الحطب تكادُ لا تُدفِّئُ نفسها ...
على أملِ أن يحظَوا بِبعض الدفء !...
ولكن هيهاتَ لِأجسادِهم الصغيرة التي نهشها البرد أن تشعر بشيءٍ بسيطٍ من الدفء !...
مطلبُهم الوحيد العيشَ بِسلامٍ ولا شيء سواه ...
وفي مخيماتِ الموتِ أيضاً رسمَ أحد الأطفال حلمَه المُكوَّن مِن " منزلٍ بِجُدران " على جدار !...
آلَمني حلُمَه البسيط وحمدتُ الله على تلك الجدران التي تلُفُّني ، فقد باتَت حلمَ الكثيرين الآن ...
أخبرتُه بِرسالةٍ سرِّيَّةٍ مليئةٍ بِالأمل والثقةِ بالله على أوراقي ...
" ستَكونُ حقيقةً تلكَ الأحلام التي رسمتَها على جدران مُخيّلتِك ...
لا تقلق يا صغيري .. غداً ستسطُع شمسُك .. وسيعلو صوت انتِصارك ...
لا تنتظِر منهم شيئاً .. فقط ثِق بِخالِقك ... "
وفي المُخيمات ثمَّة طفلٌ يُمسِك أيادي إخوته ويُخبِرهم بأن :

"لا تتركوا يديَّ إخوتي !..
فأنا لم أعد أثِق بِمن حولي في هذا العالم النائم ...
وقد بِتُّ أخاف الوحدة داخل هذا المخيَّم الذي يعجُّ بالمآسي والآلام ...
دعوني أكتفي بِسعادةٍ تكمُن بِقربي منكم ...
وبِضحكةٍ ألمحُها في وجوهِكم لو لم تكن حقيقية ...
لا تتركوا يدي إخوتي !!..
فالعالم مُظلِمٌ وظالِم بِتَخلِّيهِ عنَّا .. وأنتُم أملي الوحيد بعدَ ربِّي لِأبقى مُتماسِكاً ... "
يالَ أحلامهم الصغيرةِ والبسيطة ! .. يال قوَّتهم وقوةِ إرادتهم ...
كيف لهم أن يبتَسِموا وسط ظروفهم الصَّعبة التي لا يُطيقُ تحمُّلها بشر ...
ربَّما هو الإيمان بالله ، فهو وحده قادِر على خلقِ ابتِسامةٍ وسط الألم ...
على شاشة التلفاز شاهدتُ رجُلاً يصرخ من وسط دموعه :
" يكفي !!!...
نريدُ العيش بِسلام .. نريد أن نحلُم .. نريد أن نشعُر بالأمان ...
نريدُ وطننا .. سوريَّتَنا !!...

نريد دموع مَن بكى قهراً .. نريدُ دعواتٍ طاهِرة لِأمهاتنا الباكِيات المؤمنات ...
نريد ضَحكات شبابِنا وأحلام بناتِنا ...
نريدُ أن نعيش بدون حربٍ !...
بدون دِماء .. بدون دموعٍ وآلام !...
بدون قهرِ ويأس ...
نريدُ لِلطفلِ أن يدفأ ويشبع ويحيا بسعادة وأمان ...
نريد لِلموت أن ينتهي .. ولِلغيمة السوداء أن تبتَعِد ..
ولِلحرب أن تُلَملِم أسلِحتها وطائراتِها ودمارها وبؤسَها وكل ظلمٍ وذلٍ سبَّبتهُ لِوطنِنا ولنا ..
وترحل بعيييداً .. حيث لا اسمٌ لها ولا وجود !...
نريدُ لِلغربة أن تموتَ وتتركنا وشأننا نعيش ونسعَد على أرضِ الوطن ،نريد أن نعيش بِسلام !!... "
عُذراً منكَ يا عم ...
فهم لا يَرَون دموعك ، ولا يسمعون صوتَ صراخك ...
عذراً منكَ يا عم ...
هم لا يشعُرون بِبردٍ يفتِكُ بجسَدِك وبِأجسادِ أطفالِك الصغار وأطفالِ المخيَّماتِ والمناطِق

المُدمَّرةِ في وطني جميعاً ...
عذراً منكم يا أطفال وطني الصِّغار ...
ضمائرهم أصغر من أن تستوعِبَ حاجتكم لِلدِّفء ، وأضعفُ مِن أن تشعُر بِأوجاعِكم ...
عُذراً منكم أبناء وطني المغترِبين في خِيام !!...
عُذراً منكم أبناء وطني المُحاصَرين في الأراضي المُدمَّرة !!...
وما يُفيدُكم الاعتِذار وأنتم الضحايا المُتضرِّرة وسط عالمٍ يعُجُّ بالضَّمائر الميِّتة !!...
وأنا التي لا أملِكُ سِوى قلمٍ أعتذِر به منكم عن عديمي الإنسانيَّة ...

الكاتبة ميّاس وليد عرفة

في غُربَتي بدأتُ أملأُ وقتي بالقراءة ، وجدتُ فيها عالماً من حياة ...
استطَعتُ انتِشال ذاتي من بؤرةِ اليأس والضِّيق والفراغ القاتل ... فهي غِذاءٌ لِلروح والعقل ...
قرأتُ لِكثير منَ الكتَّابِ والشُّعراء ، منهم من تأثَّرتُ بهم وبأفكارهم الممزوجةِ في كِتاب ...
منهم مَن أحبَبتُ أبطال رِواياتِهم ، ومنهم من تعلَّمتُ مِنهم أنَّ لا وجود لِليأس في الحياة ...
لا يوجد ضعف .. ولا يوجد شيء اسمه " لن أنجح ! " ...
أثارَت انتِباهي قصيدة لِلشاعرِ محمود درويش ، شعرتُ بِأنَّها تحكي واقِعنا ...
واقِعٌ بغيضٌ فرَضَتهُ علينا تلكَ الحربُ الهوجاء ...
لامَسَت قلبي إذ أنها رسمَت بخيالي صورة من يسكنون الخِيام ويتحمَّلون كافة المشاقِّ والصعوبات ...
ورسمَت بخيالي أولئك الذين يبحثون عن رشفة ماءٍ تسدُّ عطشَهم ،
وعن رغيف خبزٍ يقتلُ جوعهم ...
تذكرتُ أولئك الذين عبَّروا عن رفضهم لِلذلِّ والهوان ، الذين طالبوا بحقوقِهم ...
ودافعوا عن أرضِهم ووطنِهم حين ردُّوا على طلبهم بمدافِع وطائرات موتٍ تنشر الرعب في كل مكان ...

تقول القصيدة :

" وأنتَ تُعِدُّ فطورك ، فكِّر بِغيرِكِ ...
لا تنسَ قوتَ الحمام ...
وأنتَ تخوض حروبك ، فكِّر بِغيرك ...
لا تنسَ من يطلبون السَّلام ...
وأنتَ تُسدِّد فاتورة الماء ، فكر بِغيرِك ...
من يرضَعون الغمام ...
وأنتَ تعودُ إلى البيتِ ، بيتِكَ ، فكِّر بِغيرك ...
لا تنسَ شعبَ الخِيام ...
وأنت تنامُ وتُحصي الكواكِب ، فكِّر بِغيرِك ...
ثمَّة من لم يجِد حيِّزاً لِلمنام ...
وأنتَ تُحرِّرُ نفسَك بالاستِعارات ، فكِّر بِغيرِك ...
مَن فقدوا حقَّهم في الكلام ...
وأنتَ تُفكِّر بالآخرين البعيدين ، فكِّر بِنفسِك ...

غربة شتاء للكاتبة ميّاس وليد عرفة

قُل : ليتَني شمعةً في الظلام ... "
ليتَهم يستطيعون التفكير أو حتى مُراعاة من يطلبون السلام ...
مَن يموتونَ قبلَ الأوان ، من ينامون عُراةً تحت السَّماء ...
بِخيمةٍ فقيرةٍ إلاَّ مِن بردٍ يفتِكُ بالأجساد ...
مَن يموتون جوعاً في حربٍ كلُّ مَن يخوضونها لا يملِكون إلاَّ مصالِحهم ...
ويَسعَون إليها بِكلِّ ما يؤتونَ من قوةٍ ، مُتناسينَ أولئكَ الضعفاء الذين يُقتَلون ويعيشونَ أصعبَ و أقسى الظروف بِلا أيِّ ذنب ...
يُضَحُّون بِأرواحِ شعبٍ لم يطلُب سِوى السَّلام ...
ليتَهم يستطيعونَ سماعَك يا درويش .. ليتَهم !!...
ولكنَّ آذانَهم مُغلَقةٌ بِصمغِ مصالِحهم العمياء ...
وأولئكَ الذين يُعانونَ يغُضُّون عنهم الأبصار ...
ماتَت قلوبُهم وأحاسيسهم وإنسانيَّتِهم .. وماتَت ضمائرُهم !...
عيونُهم لا ترى سِوى السَّراب ...
تلك الدِّماءُ تُغطِّي الوطن ، أغمَضوا عنها الأعيُن !!...

خربشات الكاتبة ميّاس وليد عرفة

وذاكَ الصُّراخ ملأ الدنيا بكاءً واستِنجاداً ، سدُّوا عنهُ الآذان !!...

هناكَ طفلٌ يئنُّ ألماً ، ينهَشُ البرْدُ جسَدَهُ لِيُحيلَهُ جثَّةً لا حراكَ فيها ...

وهُناكَ رجُلٌ يصرُخُ بُكاءً بينَ يديهِ يحمِلُ جُثَّة طفلِه ...

وبِجانبهِ طفلهُ الآخر يلفُظُ أنفاسَهُ الأخيرة لِيُعلِن الرَّحيل ...

وهناكَ طِفلةٌ تُقَبِّلُ يدَ أُمِّها البارِدة وتبكي ...

" لِماذا تركتِني هنا في عالمٍ يَفتقِر إلى الأمان ؟..."

وهناكَ .. وهناكَ .. وهناكَ ...

ولكن ، من يسمَع ومن يرى ؟....

الجميع أموات !...

ووحدهُم من يتألَّمون هم الأحياء !...

يالَ وقاحة الحروب !!...
تجرَّأت على أن تستخدِم أسلوبَ التَّجويعِ لِقتلِ الطفولة والحياة !...
يالَ وقاحَتِها !!...
أَلم يُخبِرونا بأنَّ لِلحروبِ أسلِحةً مِن حديد ؟...
مِن أينَ أتَوا بِموضة التَّجويع هذه ؟...
أَلِلموتِ والقتلِ أيضاً موديلاتٌ جديدة ومُتَنوّعة ؟...
لَربَّما هي أساليبٌ جديدةٌ لإذلالِ ذاك الشعبِ الذي تجرَّأ وطلبَ حقوقَه المسلوبة ...
ولم يتنازل عنها رغم كلِّ ما فعلوه به من قتلٍ وتدميرٍ بِكافة الطرقِ والأساليب ...
ولكنَّ شعباً يؤمِنُ بأنَّ ربَّ العِبادِ جميعاً معه لن يستسلِم أبدا !...
تغافلوا عن الأرقامِ الهائلةِ لِلضحايا الذين ماتوا على أرضِ الوطن ...
وعن الأرقام الهائلة الأخرى لِلضحايا الذين ماتوا خارج أرضِ الوطن ...
إن كانوا في المخيمات البارِدة يعيشون الموتَ بِكافة أشكالِه وأنواعه ...
برداً .. جوعاً .. عطشاً .. حرقاً ...
علاوةً عن الأمراض المُستعصيةِ والخطيرة المُتنوّعة الزائرة عندهم جرَّاء الظروف المعيشيَّة

الغير قابلة لِلعيش أصلاً ...
أو غرقاً وهم على طريقِ الهروب لجوءً إلى الدولِ الأوروبيَّة من الحرب بعد أن أغلَقَت الدول العربيَّة الأبواب في وجوههم ...
وهاهم يصنعون أرقام هائلة جديدة لِضحايا جوعٍ داخل الوطن المُمزَّق !...
وكأنه زمن لِعبة الأرقام الهائلة !! ...
ترى أي فئةٍ من الأرقامِ تكون الرابِحة ؟...
إنَّ صُنَّاع الحروبِ يقتاتون من دماءِ الأبرياءِ و أرواحهم ...
يحشُرون عقولَهم الدنيئة بالأسلِحة والتدمير ، والقتل والظلم يُعدُّ أسلوب حياةٍ بالنسبة لهم !...
لِيصلوا إلى أهدافهم عليهِم أن يدوسوا على القِيم الإنسانية ...
وألاَّ يسـألوا أنفُسَهم عديمةَ الرحمةِ والشفقة ...
" بِأيِّ ذنبٍ قُتِلَت " !!...

ويسألُ صحافيٌّ لِأحدِ القنواتِ الإخباريَّة على أرضِ سورية طفلٌ :
" ما ذا تريد ؟... "
فيُجيبه الطفلُ وعيناه في الأرض من شدَّة الخجل :
" منذ ثلاثة أيامٍ لم آكل شيئاً من الطَّعام ، ولا حتى كِسرة خبزٍ واحدة ...
أنا خجِلٌ من أن أطلُب منكَ يا عم ، ولكني لم أعد أستطيع تحمُّل ألم معدتي الخاوية ...
أنا جائعٌ .. ألديكَ كِسرَة خبزٍ أسدُّ بها جوعي !!... "
وبعدها يبدأ نوبة بكاءٍ عميق ، ذاك الطفلُ الذي يملِكُ عِزةَ نفسٍ تفوقُ عزَّة نفس العربِ جميعاً يطلُبُ كِسرة خبزٍ من صحافيٍّ غريب بعد أن تحمَّل مدة ثلاثة أيامٍ جوعاً قاهِراً ...
بكى خجلاً وحسرةً ، أَوَصلَ به الحال لِأن يطلبَ من غريبٍ وهو الذي لم يطلُب من أحد يوماً !...
والغريبُ بالأمرِ هو أنَّ الصَّحافيَّ ذاته لا يملِكُ طعاماً !!!...
هذا هو حالُ أغلبُ صحافيِّي بلادي لِلأسف ، يُغامِرون بِأنفسهم وكامِيراتهم من أجلِ أن يرى العالم ما يحصُل ... ولكن لا حياة لِمن تُنادي ...
تُرى من يستطيعُ تحقيق ذاكَ الحلم البسيط ؟...
أيُّ دولةٍ عربيَّة تستطيعُ فِعلَ ذلك ؟...

عزة شتاء للكاتب عباس وليد عرفة

مَن لديه الوقتُ الكافي لِتحقيق حلمٍ سخيفٍ كهذا ؟...
من يستطيعُ تهدِئة معدةِ طفلٍ جائع لم يطلب شيئاً سِوى كِسرة خبز !...
لم يطلب شيئاً من الأطعمة الفاخرة ، ولم يطلُب شيئاً مُستحيلاً ، كِسرة خبزٍ فقط !!!...
ألم يعد هناكَ من يهتمُّ بالإنسانيَّة ولو مجرَّد اهتمام ؟...
أيُعقَلُ بأنَّ الأمة العربيَّة والإسلاميَّة انحدرَت لِهذه الدرجةِ من الدَّناءةِ وعدم الشعورِ بالمسؤولية ؟...
ذاك الطِّفل الذي لم يتذوَّق الطعام طيلةَ ثلاثةِ أيامٍ يخجلُ أن يطلُبه حتى !...
والعرب وإنسانيَّتهم الغائبة عن الوجود عاجزين عن سدِّ رمقِ جوعه ...
دون أن يشعروا بشيءٍ من الخجلِ أو تأنيبِ الضمير ...
إنهم يُشاهدون ما يحصُل على أنه فيلم ينتهي بِموتِ البطل جوعاً .. أو برداً .. أو قصفاً .. أو .. أو ..
سيتَّهِم البعضُ الفقر بالجريمة .. والبعضُ ألآخر سيتَّهمون الشتاء ...
وربما ينتهي النِّقاش باتِّهامِ البطلِ الميِّت ذاتِه ...
سيبتَسِمون ويذهبُ كلٌّ إلى ترفه ورغدِ عيشِه وعمله ...
غيرَ مُبالين بأنَّ القاتِل الحقيقي هو ضمائرُهم النائمة ، ومشاعرهم المُصطنعة ...
ألم يُخبرهم أحدٌ بأنَّ صمتَهم مُشارِكٌ في الجريمةِ أيضاً ، وبأنَّ التاريخ سيكتُب عنها...

وماذا لو أخبرتهم بالحقيقة الأقوى ...
بأنَّ كلَّ مُتخاذِلٍ وكلَّ من يدَّعي بأنَّه يسعى لِوقفِ الحربِ وهو لا يسعى سِوى خلف مصلحةٍ مُضمرةٍ في صدرهِ المريض هو قاتلٌ أيضاً !!...
يستَفِزُّني أولئك الذين يُقيمونَ الولائمَ والموائِد الكبيرة مِن أجلِ المُفاخرةِ والمُباهاة أمام الآخرين من مثلِ طبقَتِهم فقط !!...
وكأنهم في سِباقٍ لِلأفخرِ مائدة والفائز ينالُ احترام البقيَّة وثناؤهم وإعجابهم حتى !!...
وعِندما ينتهون مِن طقوسِهم تلك بإشباعِ غريزةِ الفخرِ والانتصار المؤقَّت يرمون بكلِّ تلكَ الموائد التي ما استَهلكوا منها إلاَّ القليل في الحاويات عشاءً دسِماً لِقطَطِ الشوارِع الجائعة فتتناولُ منها وتملأ بطونها وتشبع دون أن ينتهي ذاك الطعام المُلقى في الحاوِية لِتعود إليها كُلَّما جاعَت ...
الغريب في الأمر أنهم كلَّما انتهوا من حفلٍ أقاموا آخرِ بِنفسِ حجمه ومَباهِجِه وربما أكثر ...
وكلَّما أقاموا حفلاً أعَدُّوا الولائمَ لِأجلِه ، وكلَّما انتهوا من طُقوسِهم رموا بِما بقي من مائدتهم الكبيرة في حاوِياتِ أحيائهم الفاخرة ...
وكلَّما شبِعَت قِطط تلكَ الأحياء سخِرَت من سذاجة عقولِهم وشكرَت جهلَهم وبذخهم !...

على شاشةِ التلفاز شاهدتُ الكثير من هؤلاء المُصابين بِمرض " الأُبَّهة والغِنى الفاحِش " !!...
وأتساءلُ في ذاتِ نفسي :
ألم يسمعوا يوماً عن المجاعاتِ الحاصِلةِ في العالم ؟...
ألم تصِلهُم أخبارُ الحروبِ وقِصَصُها التي تعُمُّ أجزاءً من الوطن العربي وتنشُرَ فيه فقراً وجوعاً وموتاً ؟...
ألم يعلموا بأنه ثمَّة مُخيَّماتٌ أُقيمَت على حدود بِلادٍ عربيَّة تعُجُّ باللاجئين الجائعين والمرضى ؟...
ألا يُشاهِدونَ على شاشاتِ التِّلفاز ما نُشاهده نحن ؟...
أم أنَّ وقتهم الثمين في الجريِ وراء بذخِهم وحياتِهم " المُعاصِرة " لا يتَّسِع لمُشاهدةِ شيءٍ على شاشات التلفزةِ الموجودة على جُدران قصورِهم الفاخِرةِ كمُكمِّلاتٍ لِلديكورِ فقط ؟...
و أتساءلُ :
ألا تملِكُ تلك الشَّريحة من البشر أصحابُ الطَّبقة الفاحِشةِ الغِنى قلوباً تتألَّم حسرة على الضُّعفاءِ والفقراءِ كقُلوبِنا نحن المنفيِّين من أوطانِنا ولا نملِك سوى شعوراً بالأسى عليهم وقلوباً داعيةً راجيةً الله أن يُزيل همَّهم ؟...
كيفَ لهم أن يرموا ويستمرُّوا بِرميِ كلِّ هذا ؟...

ألم يعلموا أنَّ وليمةً واحدة من تلك الولائم تُشبِعُ أطفالاً يكادُ الجوع يقضي على حياتهم ؟...
أم أنَّ قِطط الشوارِع أحقُّ بتلك الموائِد مِن الجائعين ؟...
فليُقيموا ولائمهم كيفما شاءوا ولكن لِيُفكِّروا قليلاً بغيرهم ..ألا يعلَمون بأنهم سيُحاسَبون على كلِّ ذلك ؟...
سيُحاسَبون على عقولِهم فيما لَهَت ، وعلى قلوبِهم التي لم تشعُر سوى بِملذَّاتهم ومباهِجهِم ...
أيُعقَلُ أنهم لم يسمعوا بالجوعِ يوماً ؟...
ولم يُخبِرهم أحدٌ عن إنسانيَّةٍ أضاعوها في زحمةِ حياتِهم الفاخِرة ...
وأتساءل :
متى ستَصحو العقولُ الغائبةُ عن وعيِها الإنساني ؟....
متى ستنتهي الحرب وينتهي الجوع والحِرمانُ والموت ؟...
وكُلَّما شاهدتُ خبراً في التِّلفاز وجدتُهم يُقيمون المؤتمرات والاجتماعات ...
مَضَت خمسُ سنواتٍ تقريباً على تلكَ الحربِ التي اجتاحت وطني ...
وها نحنُ على أعتابِ السنة السادِسة !...
ماتَ الآلاف وتشرَّد الآلاف وذُلَّ الآلاف ودُمِّرَت بلدٌ بِأكملِها على رؤوسِ مُواطِنيها ...

وهم مازالوا يهذونَ بِبضعِ كلماتٍ أكثرُها استِفزازاً :

" إنَّنا نقلق إزاء ما يَحِصل في سوريا !!"

أرجوكم حافِظوا على هدوئكم ولا تفزعوا !!...

أخافُ عليكُم مِن القلق والانزِعاج ...

أخافُ على حياتِكم الفارِهة من الخدشِ أو لمسةِ حزنٍ تُسيطر عليها ...

حقاً .. أخافُ عليكم كثيراً !!...

أطفالُ بلادي الذين يموتون جوعاً لا يستحِقون شفقةَ عديمي إحساسٍ و إنسانيَّة مِثلكم ...

لا يستحقون أقنِعةَ القلق التي تضعونها على وجوهكم لِتتظاهروا بها ليس إلاَّ ...

لهمُ الله لا حاجة لهم بِأشباهِ بشرٍ مثلِكم ...

ارتاحوا أرجوكم واستمتِعوا بِحياتِكم ورفاهيَّتِكم ...

هم لهم الله والآخرة ...

وأنتم لكم مظاهِركم وحياتكم في الدنيا ...

لا تقلقوا .. سيأتي يومٌ ويُحاسَب كلٌّ على أفعالِه ونواياه ...

لِذلكَ هم صابِرونَ وراضون ومطمئِنون ...

وأنتم .. حافِظوا على هدوئكم فالقلق والخوف لا يليق بكم ...

وسط عتمةِ الحروب صرخَت الطفولة المُعذَّبة ...
" كفى !! " فهل هناكَ من يسمعُ النداء ؟...
وسط زحمةِ الواقِع المُنحدِرِ نحو الدُّنوِّ والانحِطاط هتفَت الإنسانيَّة المَنسِيَّة ...
" ماذا فعلتُم بي ؟ " فهل هناك مَن يُصغي ؟...
وسط ضبابِ الأحداث ودموِيَّتِها هتفَ قلبيَ المُرهق آمِلاً ...
ذاكَ الرَّصاصُ سينتهي يوماً ...
وتلك البنادِقُ ستصدأُ يوماً ...
وتلك الحربُ لزائلةٌ .. فلا شيء يبقى لِلأبد ...
لا ظُلمٌ ولا ظلام .. لا قتلٌ ولا دمار ...
لا فقرٌ ولا احتياج .. ولا حتى اختِناق ...
كلُّ شيءٍ سيَتغيَّر ويتبدَّل .. والأملُ وحدهُ باقي ...
ثمَّة ياسمينة بقِيَت بيضاءَ نقيَّة عطِرة رغم الحربِ والدمار ...

غزة تشاء للكاتبة ميّاس وليد عرفة

وثمة أمهاتٌ يُنجبنَ الأطفال رغم كثرة عدد الأمواتِ والشهداء ...
وهناك حيثُما شرفتي زيتونة صامِدة واقفة حتى هذه اللحظة ...
كلماتُنا ستُسمَع يوماً وبالمحبَّةِ والسلامِ ستُزهِر ...
والوطنُ مصيرهُ أن تُشفى جِراحه ويعود لأهله يوماً ...
وهُناك أنا سأُشفى .. ثمة إيمانٌ دفين داخل قلبي يهمِسُ لي بذلك ...
ينتابُني شعورٌ بالأمل كلما رأيتُ ابتِسامة طفلٍ من أطفال المآسي والفجائع والنَّكبات ...
تلك الابتسامة التي تتحدَّى بِسحرِ جمالِها وقوة إرادتها المدافِع والأسلحة !...
وتتحدَّى الحرب والدمار وعديمي الضمير جميعاً !...
بِأنَّ الأمل موجودٌ لا يموت ...
وبأنَّ الحربَ لراحِلةٌ عن أرضنا .. وبأنَّنا سنعيش السلام بِأرضِ السلام ...

غزة بيت الشعر الحديث مياس وليد عرفة

تمضي الأيَّام والأشهُر كئيبةً مُمِلَّةً في غربتي ، وأذبُل كلَّ يومٍ حتى أكادُ أصِل مرحلة اليأسِ ...
فأتذكَّر فجأة !...
بِأنِّي لم أخلَق لِلضعف ولا لِلهوان ، ولم أُخلَق لِأكون جسداً يعيشُ لِيأكل قليلاً وينام طويلاً ...
لم يُقدَّر لي أن أكون مُختلِفةً عن الآخرين بمرضي لِأكون مُستسلِمة ضعيفةً خاضِعة !...
لم تكن مقدِرتي على تكوينِ الكلِمات عبساً ولا لِغرضِ التَّسلية وإمضاء الوقت فقط !...
ولم يُقدَّر لي أن أرحل إلى منفاي بدون سبب ...
ثمَّة حربٌ مُشتعِلة تلتهِم الأطفال والنساء والرِّجال والشجر والزهر وكلَّ ما تجِده في طريقِها !...
مُغتربين ولاجئين في أرجاء الأرض جميعاً سُلِبوا حريَّاتهم وحقوقهم و حُرِموا من أحلامهم وأُجبِروا على عَيشِ حياةٍ ليست حياتهم ...
فقرٌ يحتلُّ الأوطان ومجاعاتٌ تُهدِّد حياة الكبيرِ والصغير ...
ضمائرٌ نائمةٌ يجبُ أن تصحوا سريعاً ...
ثمَّة أشخاصٌ مثلي وُلِدوا مُختلِفين وعاشوا مُختلِفين وكلٌّ آلامه باختلاف وضعه الذي قُدِّر له ...
بعضهم من استسلم لِحالِه ولم يجد ما ينتشِله من بؤرة ألمه وظلامِ أمله ...
وبعضهم من لم يجد من يُمسِك بيده ليأخُذه نحو الأمل بعيداً عن عالمِه البائس...

أنا لم أستسلِم يوماً .. ولن أستسلِم !...
فقد رزقني الله بكثيرٍ من الأيادي التي تنتشِلُني إذا ما ضعُفت ...
وبعث لي امرأةً لِتغيّر قدري وحياتي بمجيئها ، تقبَّلَت ضعفي وتحدَّت مرضي وعجزي
الذي كان .. وجعلَت مني ابنتها التي لم تُنجِبها ، وجعلَت من نفسِها أمَاً لي ...
لتزرعَ فيَّ أملاً وعزيمةً وقوةً ..
وتسعى جاهِدة بكلِّ ما أوتيَت من إيمانٍ و حبٍّ لِتجعلني أقف يوماً وأمشي بعده ...
بعد أن قالوا قديماً عني : " لن تتمكن من المشيِ يوماً " ...
كيفَ أحزنُ ولديَّ ما ليسَ لِغيري !...
الأمل الذي سأسعى جاهِدةً لِنشرِه كعدوى بين اليائسين ...
بالكلِمات التي أعطاني الله القُدرة على كِتابتها ، وعلَّمتني أمي كيفَ أكتبها وأرتِّبها ...
فأمسحُ دموعَ خيبَتي وضعفي وأتسلَّح بابتِسامة القانِعِ لإرادة الله سبحانه وأنا كلي ثقةٌ
بأني سأكونُ الكاتِبة التي تُدافِع عن كل ضعيف ...
الكاتبة التي تتلذَّذُ عِشقَ دمشق بالكلِماتِ لا سواها ...
والتي تُحبُّ وتعيش قِصص عشقها وانكساراتها ونجاحاتها بترتيبِ الحروف واللعِب على

أوراقٍ بيضاء ، تختَلِقُ قصة هنا ، وأملاً هناك ...
و ميسانة في سماءٍ مُظلمة تتلألأ أملاً وحباً وحياةً ...
شِتاءً دافئاً لطالما حلُمتُ به سأصِل إليه وأعيشه على أرضِ الوطن ...
كثيراً ما يختارُ لنا القدر أشياء لا نتقبَّلها ولا نستطيعُ مُعايشتها ، ولكننا إن فكَّرنا بِقليلٍ
من الإيجابية سنجد أن هناك ما يدعو لِلتفاؤل ...
فلربما هناك رسالةٌ علينا تأديتها أو أن هناك خيراً سيحصل ويغيرُ كلَّ ما نعيشه إلى سعادة
ما كُنا نتخيَّل حدوثها قبل ذلك ...
الأمر فقط يتطلَّب رضاً وإيماناً وكثيرٌ من التفاؤل ...
فالله لا يُحدِثُ أمراً إلاَّ وبه خيراً كثيراً بإذنه ...
وسيبقى الأمل ينمو ويكبر داخل كلِّ قلبٍ هشَّمَتهُ الحربُ والغربة ...
بأنَّ النور قادِمٌ والعودة حتميَّة ، فالظلام تُبدِّده خيوط شعاعِ شمسِ الصباح ...
والياسمين مازال نقيًّا رغم الحربِ والدمار ...
وشجرة الزيتون مازالت واقفة هناك مُقابِلة لِشرفتي تنتظِر عودتي ذات سلام ...

غربة شتاء الكاتبة ميّاس وليد عرفه

ستُشرِقين يا دمشق !...

أيا وطناً أحنُّ له ...
يسكُنني ولا أسكنه ...
قريبٌ هو مني قُربَ الوريد لِقلبي ...
بعيدٌ هو عني بُعدَ المسافاتِ الطِّوالِ ...
ياسمينةُ أملٍ فوَّاحة وسط الحروب ...
وقاسَيون صامِدٌ رغم الغُروب ...
ستُشرِقين دمشقَ قريباً ...
كما تُشرِقُ كلَّ يومٍ شمسَ الصَّباح !!...

غزية شتاء للكاتبة ميَّاس وليد عرفة

غربة شتاء الكاتبة ميّاس وليد عرفة

ذات صباح شتاء بارد في وطنِي .. قررت بأن أكون الدفء للقلوب الباردة ، وللأرواح المُتعبة ...

قررت أن أكون شتاءً دافئ يبثُ دفئه بكلماته و حروفه ، قررت أن أكون شتاءً يأمل بدفءٍ يغلّف حياته الباردة ...

قررت أن أكون كاتبة لأكتب عن الضعف وعن أولئك المحتاجين للأمان والحياة ...

أكتبِ عن أولئك المختلفين الذين يحلمون بأن تتغير حياتهم من مرارةٍ وقدرٍ كُتِبَ عليهم وتوَّجب عليهم تقبُله و الصبر عليه و تحمُّل نظراتِ آخرين لا يمكنهم حتى تخيُّل الألم الذي يرمونه بتلك النظرات في قلوبهم ...

أكتبِ عن وطنٍ يموت وينهار ولا احد يحاول حتى أن يقدِّم له و لأبنائه يد العون ..

عن وطن ضاع أبناؤه وتذوقوا الكثير من الأسى والألم ، و أشد أنواع العذاب

عن وطنٍ باتَ مقبرة زوَّارها كُثُر بفعل الحرب !!...

ميَّاس وليد عرفه

غربة شتاء الكاتبة ميّاس وليد عرفه

غربة شتاء الكاتبة ميّاس وليد عرفة